بسم الله الرحمن الرحيم

****

جامعة ام البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

****

محاضرات في فقه اللغة

المستوى: سنة أولى ليسانس

(نظري / تطبيقي)

الأستاذ عبد الرحيم عزاب

الجزء الأول /

- **المحاضرة الأولى: نشأة المصطلح، مفهومه و الفرق بين فقه اللغة و علم اللغة و الفيلولوجيا.**
- **المحاضرة الثانية: نظريات نشأة اللغة الإنسانية: المحاكاة، التواضع و الاصطلاح، الإلهام و الوحي...**
- **المحاضرة الثالثة: اللغة العربية و اللغات السامية، اللغة العربية ولهجاتها.**
- **المحاضرة الرابعة: النبر في اللغة العربية *Rythme Accentuel***

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المحاضرة الأولى: نشأة المصطلح، مفهومه و الفرق بين فقه اللغة و علم اللغة و الفيلولوجيا.

1–فقه اللغة: نشأة المصطلح

توطئة: إن الاهتمام باللغة حاضر في كل مراحل الفكر الإنساني، فاللغة خصيصة إنسانية، ذلك أن البحث حول اللغة وجملة المسائل المتعلقة بها قديم قدم الفكر الإنساني، و مع هذا التجديد الشامل في بناء "علم اللغة " لم ينس الباحثون تلك الدراسات القيمة التي قامت حول اللغة، من قديم الزمان، لدى الهنود، و اليونان، و الرومان و العرب. و منذ القرن السابع الميلادي (الأول للهجرة النبوية) اتجه العرب نحو لغتهم التي نزلت بها المعجزة البيانية الكبرى، القرآن الكريم. و منذ أواخر القرن الأول للهجرة بدأ و ضع قواعد للنحو لصون الألسنة من اللحن أو الخطأ، ثم بدأ جمع اللغة، و تصنيف المعجمات، و تقدمت دراسة النحو و الصرف، و درس الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) جوانب مهمة من علم الأصوات اللغوية، و تتابعت الدراسات اللغوية و تنوعت، حتى ازدهرت في القرن الرابع الهجري، بفضل جهود ابن دريد (ت 321 هـ) و أبي علي الفارسي (ت 377 هـ)، و ابن جني (ت 392 هـ)، و ابن فارس (ت 395 هـ). و كان لهذه الدراسات العربية من سلامة المنهج و دقة التناول و عمق النتائج ما أدهش اللغويين المحدثين.

1–نشأة المصطلح:

اسم " فقه اللغة " قديم عند العرب، و إن لم يكن شاملا لكل فروعه، التي نهتم بها الآن في فقه اللغة العربية. لقد ارتبط فقه اللغة بالدراسات الفلسفية القديمة سواء عند اليونان أو عند العرب، هؤلاء الذين اتجهوا إلى دراسة قواعد اللغة و آدابها و نصوصها. لقد كان استخدام مصطلح " الفقه " في أواخر القرن الرابع الهجري خاصا بعلم الشريعة، كما نص ابن جني في كتابه الخصائص اذ قال:" الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء، أي عرفته ثم خص به علم الشريعة من التحليل و التحريم"[1] فلا غرابة إذا كان ابن جني لم يستخدم في كتبه اصطلاح "فقه اللغة" على الرغم من استخدامه كلمة الفقه، مضافة إلى الضمير العائد إلى اللغة، لكن بمعناه العام، و هو الفهم و المعرفة، يقول في أحد أبواب كتابه "الخصائص": "هذا مذهب في هذه اللغة طريف، غريب لطيف، و هو فقهها و جامع معانيها، و ضام نشرها"[2]. أما العلم الذي يسمى " فقه اللغة " فقد استخدم ابن جني بدلا منه اصطلاح "أصول النحو" إذ جاء في مقدمة كتاب " الخصائص ": " و ذلك أننا لم نر أحدا من علماء البلدين (البصرة و الكوفة) تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام و الفقه"[3]. أي إن هذه الدراسة العليا للغة مستوى يعلو على معرفة القواعد، كما أن دراسة أصول الكلام عند علماء الكلام و فلاسفة المسلمين، و دراسة أصول الفقه و قوانين النظر فيه يعلو على معرفة مسائل علم الكلام و علم الشريعة. و هذا الفهم لعلم اللغة، جعله أصلا بالنسبة لعلم العربية، و تحديد موضوعه، يتضح من قول أحمد ابن فارس، الذي يعد أول من استخدم اصطلاح " فقه

[1] ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة و النشر، بيروت لبنان، د.ت، ص 34.
[2] نفس المصدر، ص 133.
[3] المصدر السابق، ص 30.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

اللغة " عنوانا لكتابه الموسوم " الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها "[4] يقول ابن فارس في مقدمة هذا الكتاب " الصاحبي " :" اعلم أن لعلم العرب أصلا و فرعا، أما الفرع فمعرفة الأسماء و الصفات كقولنا: رجل و فرس و طويل و قصير. و هذا هو الذي يبدأ به عند التعلم، و أما الأصل فالقول على موضوع اللغة، و أوليتها، و منشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطباتها، و ملا لها من الافتنان تحقيقا و مجازا" [5].

و لكن دراسة بن فارس و تناوله لمسائل فقه اللغة، لا يرقى إلى ما نراه عند أبي الفتح بن جني في كتابيه الرائدين " الخصائص و سر صناعة الإعراب ".

ثم استخدم مصطلح " فقه اللغة " بعد ذلك عند أبي منصور الثعالبي (ت 429 هـ) فسمى كتابه بهذا الاسم " فقه اللغة " وتلاه بكتاب آخر هو: " سر العربية " و طبعا معا في كتاب عنوانه: " فقه اللغة و سر العربية "[6]

و لكن الثعالبي كان بعيدا عن المدلول الحقيقي لفقه اللغة، إذ لم يضمن كتابه من مسائل هذا العلم إلا نتفا يسيرة، كالباب التاسع و العشرين الذي عنوانه: " فيما يجري مجرى الموازنة بين العربية و الفارسية (أسماء فارسيتها منسية و عربيتها محكية مثل الكف و الساق، و أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها مثل الزكاة و الحج، و أسماء قائمة في لغتي العرب و الفرس على لفظ واحد، مثل التنور و الدينار و أسماء تفردت بها الفرس دون العرب، فاضطرت العرب إلى تعريبها Arabisation، مثل: الكوز و الإبريق، و يليه فصل مما نسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية، و كذلك ما جاء عن الفروق في المعاني بين الألفاظ المختلفة.

و كتابه هذا أي " فقه اللغة و سر العربية " للثعالبي يعد معجما من معجمات المعاني التي يختص بها كل باب منها بموضوع أو معنى، تجمع تحته الألفاظ الواردة في هذا المعنى مثل كتاب " الألفاظ " لابن السكيت (ت 244 هـ) و كتاب " المخصص" لابن سيده (ت 458 هـ). ثم شاع اسم أو مصطلح " فقه اللغة " في الكتب التي تناولت ترجمة ابن فارس و الثعالبي، أو ذكرت في عناوين الكتب، أو نقلت عن هذين الكتابين، ثم تلقاه اللغويون المحدثون بالقبول، فأشاعه المستشرقون الذين حاضروا في الجامعات العربية عن فقه اللغة العربية، و استخدمه بعض اللغويين العرب في عناوين كتبهم، مثل:

1-فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي.

2-فقه اللغة لمحمد مبارك.

3-دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح و يعقوب بكر.

4-مقدمة في فقه اللغة لمحمد أبو الفرج.

5-فصول في فقه العربية لرمضان عبد التواب.

---

[4] سماه الصاحبي نسبة إلى الصاحب بن عباد الوزير الذي كان تلميذا لابن فارس و المتوفى (385 هـ)، و قد سمى السيوطي (ت 911 هـ) هذا الكتاب فقه اللغة و نقل عنه في تسعة و عشرين موضعا من كتابه الموسوم " المزهر في علوم اللغة و أنواعها"

[5] أحمد بن فارس: الصاحبي، ص...

[6] أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة و سر العربية، تحقيق مصطفى السقا و آخرين، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1945، ص 280.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

6-علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران.

2-مدلول المصطلح: " فقه "

يدل لفظ الفقه – كما جاء في المعجمات اللغوية – على العلم بالشيء و الفهم له، و قد ورد هذا المصطلح عديد المرات منه قوله تعالى:

1-**"وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ " سورة الأنعام الآية 25.**

2-**" فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ " سورة التوبة الآية 81.**

3- **"حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً " سورة الكهف الآية 93.**

و يدل اصطلاحا على العلم بالدين، و العقل منه فقه بضم القاف و بكسرها، أيضا أي صار فقيها: فقه الشيء و تفقهه : علمه و فهمه.

"كما يطلق مصطلح " فقه اللغة " على العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة، و الوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها، و معرفة سر تطورها، و دراسة ظواهرها المختلفة، دراسة مفهومية تاريخية من جانب، ووصفية من جانب آخر"[7]. و يعنى هذا العلم بكل الدراسة اللغوية " التي تبحث في نشأة اللغة الإنسانية، و احتكاك اللغات المختلفة بعضها ببعض، و نشأة اللغة الفصحى و اللهجات، و كذلك تلك التي تبحث في أصوات اللغة، و دلالة الألفاظ، و بنيتها من النواحي التاريخية المقارنة، و النواحي الوصفية، و كذلك في العلاقات النحوية بين مفرداتها، كما تبحث أخيرا في أساليبها و اختلاف هذه الأساليب، باختلاف فنونها من شعر و نثر"[8]. و كذلك التي تبحث " معرفة سنن العرب في كلامهم و أساليبهم و دراسة علم الأصوات اللغوية و بنية الكلمة العربية و هو ما يسمى بعلم الصرف، و الجملة أو التراكيب و هو ما يسمى بعلم النحو و غير ذلك..."[9]

3-الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة والفيلولوجيا:

إن اللغة في عرف اللغويين العرب القدامى هي:" أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[10]. و تكاد أغلب المعاجم و المراجع اللغوية المشهورة كـ:" لسان العرب " لابن منظور (ت 711 هـ) و المزهر في علوم اللغة و أنواعها للسيوطي (ت 911 هـ) و غيرهما، تتفق حول المعنى اللغوي لكلمة " اللغة " لكننا فضلنا الاعتماد على أهم كتب علماء اللغة العرب و شرح معنى اللغة و جملة مشكلاتها، و هو كتاب "الخصائص " لابن جني الذي يقول في باب القول على اللغة ما يلي:" إنما

---

[7] رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية: مكتبة الخانجي بالقاهرة، طبعة 2، 1980، ص9.

[8] المرجع السابق، ص 9.

[9] محمد بن سباع: اللغة بين الفقه و العلم و الفلسفة، مجلة دراسات العدد 7، ديسمبر 2017، ص 125.

[10] ابن جني: الخصائص، 33/1.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

اشتقاق هذه الكلمة من لغوت لغوا، إذا تكلمت و أصلها لغوة، و جمعها لغات، و قيل منها لغا، يلغا، و مصدره اللغا و اللغو، و في الحديث الشريف، من قال في الجمعة صه، فقد لغا "[11]. و قد يظهر لنا هذا التعريف " أن معنى اللغة في اللسان العربي يرتبط بالكلام، كما أن اللغة ترتبط بالأصوات التي تصدر عن المتحدث، لكن هذا المعنى اللغوي و إن اتفق حوله أغلب علماء اللغة، إلا أنه لا يحيلنا إلى المعنى الحقيقي للغة، خصوصا بماهي خاصية إنسانية، و ظاهرة اجتماعية، حيث يمكننا إرجاع هذا الاختلاف أو التنوع في تعريفات اللغة إلى عدة أسباب أهمها ارتباط اللغة بعدة مجالات و علوم، مثل علم الاجتماع و علم النفس، و الفلسفة، و الفيزيولوجية و غيرها "[12]. وهي أي اللغة عند اللغوي الإنجليزي هنري سويت Henri Sweet

" هي التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات المؤتلفة في كلمات "[13].

و يعرفها اللغوي الأمريكي إدوارد سابير Edouard Sapir بقوله:" اللغة وسيلة إنسانية خالصة غير غريزية أطلاقا، لتوصيل الأفكار و الانفعالات و الرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية "[14]. و أما الفرق بين اللغة و الكلام يمكن الاستدلال في هذا الشأن بقول اللغوي الإنجليزي ستيفن أولمان:" إن اللغة نظام من رموز صوتية، مخزونة في أذهان أفراد الجماعة اللغوية "[15].

و يفرق اللغوي السويسري فرديناند دوسوسير بين اصطلاحات ثلاثة، هي:

1-اللغة Le langage، ويراد به اللغة في أوسع معانيها، أي بوصفها ظاهرة إنسانية عامة، في جميع المجتمعات.

2-اللسان La langue، ويراد به اللغة المعنية[16] كالعربية أو الإنجليزية أو الفرنسية، وهي تضم نظام المفردات، والنحو، في أي عصر من عصور تاريخ لغة معينة، وهي مجموع العادات اللغوية التي تتحقق بالكلام.

3-الكلام La parole، و يراد به الكلام الذي يعبر به كل فرد عن أغراضه، أو إظهار الفرد للغة، و تحقيقه إياها عن طريق الأصوات الملفوظة.

" و هذه النظرة إلى اللغة و اللسان و الكلام منبثقة من الاتجاه الاجتماعي، الذي يجعل اللغة نظما مختزنة في العقل الجمعي، ليس للأفراد فيها من أثر سوى الإفادة من مخزونها في التطبيق العملي في الحياة "[17].

وبعد أن أسهبنا في الحديث عن ماهية اللغة بين القدماء و المحدثين و علماء الغرب، نقفز رأسا إلى بيان الفرق بين هذا الثالوث: فقه اللغة و علم اللغة و الفيلولوجيا:

---

[11] نفس المصدر، 26/1.

[12] محمد بن سباع: مجلة دراسات العدد السابع، 2017، ص 127.

[13]Henri Sweet: new English, grammer, p35.

[14] Edouard Sapir: in introduction to the study of speech, p44.

[15] ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص23.

[16] ترجمة في كتاب " اللغة " للغوي الفرنسي فندريس بـ اللسان، ص 297.

[17] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 31.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

يبن لنا تاريخ الدراسات اللغوية قديما وحديثا، أن العلاقة بين فقه اللغة و علم اللغة، كانت و لا تزال على الرغم من التطورات الكثيرة التي عرفها البحث اللغوي خصوصا المعاصر منه – متداخلة إلى درجة أن أغلب المراجع المتخصصة و أغلب الباحثين و الدراسين يستخدمون المصطلحين بنفس المعنى – و إن كان بعض من علماء اللغة المعاصرين يرون أن فقه اللغة أقدم من علم اللغة، و يقابل تسميته فقه اللغة عند الأوروبيين Philologie،هذا الاصطلاح يتألف من كلمتين من أصل إغريقي هما: Philos و معناها: صديق أو محب، و Logos و معناها: الكلام أو الخطبة، و قد تطور هذا المعنى للدلالة على معنى " العلم " فلما تقدمت الدراسات اللغوية و أطلقوا عليها علم اللغة Science de la linguistique، جعلوا الاصطلاح القديم و هو Philologie خاصا بالدراسة عن طريق النصوص القديمة، و الوثائق المكتوبة، و إعدادها إعدادا علميا للنشر، و هو ما يمكن تسميته الآن:

" تحقيق النصوص و المخطوطات ". و هكذا يكون لدينا اصطلاحات في ثلاثة مجالات، على النحو الآتي:

1–علم اللغة أو علم اللسان: Science du langage ou de la linguistique

و هو البحث في المسارات و العتبات اللغوية التي تعنى بدراسة النصوص وفقا لمناهج نسقية أو مناهج ما بعد الحداثة كالأسلوبية و السميائية و التفكيك و نظريات القراءة و التلقي و غيرها.

2–فقه اللغة: و هو أخص من علم اللغة، إذ يطلق على الدراسات اللغوية العربية...

3–الفيلولوجيا: Philologie و هو التعريب لمصطلح فقه اللغة العربي غير أنه العلم الذي يعنى بالدراسات و الأبحاث في تاريخ الدراسات اللغوية الغربية القديمة.

و الخلاصة أن فقه اللغة العربية يتميز بأنه يدرس اللغة من الناحية الخارجية، فهو يبحث في أصلها و الألفاظ التي تطلق على مختلف الأشياء و الموضوعات، غير أن علم اللغة العام la linguistique يعنى بدراسة كل فروع البحث اللغوي من الداخل و من الخارج.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المحاضرة الثانية: نظريات نشأة اللغة الإنسانية: المحاكاة، التواضع و الاصطلاح، الإلهام و الوحي...

تمهيد:

لقد كان مدار حديثنا في المحاضرة الأولى حول مدخل إلى فقه اللغة بين نشأة المصطلح و مفهومه و الفروق الجوهرية بين فقه اللغة و علم اللغة و الفيلولوجيا. معتمدين في ذلك على المقاربة التاريخية و المفهومية، و نحاول في هذه المحاضرة إلقاء الضوء على نظريات نشأة اللغة الإنسانية، و عطفا على ما سبق نؤكد أن الدراسات التي قدمها يعقوب بكر في كتابه الموسوم " دراسات في فقه اللغة العربية" تدخل كلها في نطاق فقه اللغة العربية، على أساس أنه أخص من علم اللغة العام la linguistique générale، حيث يتناول اللغة العربية من حيث هي لغة سامية، تشارك أخواتها في خصائص معينة في الأصوات و الصيغ و التراكيب.

و في ضوء هذه الآراء يمكننا تحديد مدلول المصطلح " فقه اللغة العربية " من حيث نشأتها و تطورها و لهجتاها، و أصواتها و دلالات ألفاظها، و قواعد نحوها و صرفها، و اشتقاقها، و أصول مفرداتها، و البحث في العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، و تربطها بغيرها من الظواهر، أو التي تربط اللغة العربية أو ظاهرة منها، بما عداها من فصيلة اللغات السامية.

فإذا خرج البحث عن ميدان اللغة العربية أو اللغات السامية، يتسع مدلوله و يدخل في نطاق علم اللغة العام، ما لم يكن معتمدا على دراسة اللغة أو اللغات من خلال النصوص و الوثائق المكتوبة و إعدادها للنشر حيث تسمى الفيلولوجيا Philologie، و نرى أن يظل المصطلح معربا (arabisé)، بدلا من ترجمته تميزا له عن المصطلحين الآخرين. و في ضوء تحديدنا السابق لمفهوم علم اللغة و فقه اللغة، نقدم تصنيفا عاما للموضوعات التي تناولها اللغويون العرب في شتى الفروع التي يتألف منها علم اللغة الحديث، لنخلص من ذلك إلى تحديد واضح و تقويم دقيق لدراسات فقه اللغة عند العرب، و يتضح مما سبق أن هذه الفروع اللغوية، هي:

1-نشأة اللغة La genèse de la langue.

2-أصوات اللغة Phonologie.

3-دلالات الألفاظ Sémantique.

4-القوانين العامة التي تخضع لها اللغة في نوحها وصرفها Syntaxe et morphologie.

5-اللهجات Dialectes.

6-أصول علم المفردات Etymologie.

7-المعجميات Lexicologie.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

*** نشأة اللغة الإنسانية:**

منذ أقدم العصور يحاول الفلاسفة و اللغويون الكشف عن نشأة اللغة الإنسانية ، و الصورة التي ظهر فيها الكلام، و لهم في هذه النشأة نظريات و آراء شتى.

و مع كثرة هذه النظريات و الآراء، لم يقم الدليل القاطع على أي منها. مما أدى إلى أن ينصرف اللغويون المحدثون عن الخوض في هذا الموضوع، و عدوه من مسائل ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) أو (الغيب) يعتمد على الحدث و التخمين، لكننا لا نرى مانعا من إثارة هذه الأطروحة، و إن كانت لا تزال غامضة. لقد كان للغويين و الفلاسفة العرب آراء بصدد نشأة اللغة نشير إليه فيما يلي:

لقد تناول هؤلاء وأولئك البحث في أصل اللغة، أتوقيف ووحي وإلهام من الله عزوجل، أما اصطلاح و تواضع من البشر؟

لقد تناول هذه المسائل علماء متعاقبون من اللغويين و النحويين و الفلاسفة و علماء الكلام و علماء أصول الفقه الإسلامي، و يمكن أن نذكر في هذا المجال كلا حسب تخصصه:

في المجال اللغوي:

1-أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) في كتابه " الخصائص ".

2-أحمد بن فارس (ت 395 هـ) في كتابه " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ".

3-أبو منصور الثعالبي (ت 429 هـ) في كتابه " فقه اللغة و سر العربية ".

في المجال النحوي:

1-عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180 هـ) في كتابه الموسوم " الكتاب ".

2-ابن الحاجب عثمان بن عمر (ت 646 هـ) في كتابه " الشافية في علم التصريف والنظم ".

في المجال الفلسفي:

1-حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ) في كتابه " المنقذ من الضلال ".

في مجال علم الكلام:

1-إمام الحرمين الجويني عبد الملك بن أبي محمد النيسابوري (ت 478 هـ) في كتابه " الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ".

ومن علماء أصول الفقه الاسلامي:

1-أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان المعروف بابن برهان (ت 518 هـ) في كتابه " الأوسط ".

2-فخر الدين الرازي (ت 606 هـ) في كتابه " تفسير الرازي ".

3-بدر الدين الزركشي (ت 794 هـ) في كتابه " البحر المحيط في أصول الفقه ".

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

و قد أورد اللغوي النحوي جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) آراء هؤلاء جميعا، و علق على بعضها في كتابه الموسوم " المزهر في علوم اللغة و أنواعها الجزء الأول "[18]

أولا: المحاكاة La simulation ou l'imitation

و تتلخص هذه النظرية في أن الإنسان اقتبس أسماء الأشياء من أصواتها، أي إن الكلمات تكون نتيجة تقليد لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء. و يطلق علماء الغرب على مثل هذه الكلمات مصطلح: Onomatopoeia بمعنى المحاكاة الصوتية. قال ابن جني في هذا الصدد:

" و يهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح، و حنين الرعد، و خرير الماء، و شحيح الحمار، و نعيق الغراب، و صهيل الفرس، و صياح الديك، و نزيب الظبي... و نحو ذلك ثم ولدت اللغات فيما بعد"[19] و قد استند أنصار هذه النظرية على " ما نجده في بعض الأحيان من اشتراك في بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي إما صوت الإنسان، نحو قوله تعالى: " وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً " سورة الإسراء الآية [23]. وكلمة **أف** عبارة عن صوت يصدره الإنسان عند التضجر و الاستياء و الغضب، و هي ملكة لغوية مشتركة بين بني الإنسان أينما كانوا.

و في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات فإن الكلمة التي تدل على الهمس هي في العربية كما نعلم (همس) و في الإنجليزية (Whisper) و في الفرنسية (Chuchoter) و في الألمانية (Flüstern) و في العبرية (לחש) و تعني (صفصف) و في الحبشية (فاصي) و في التركية (Susmak) و في الأمازيغية (سوسم susam). فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعا تلك الكلمة (همس) و هو صوت الصفير: (السين أو الصاد)، وهو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة"[20].

و ما يؤخذ على هذه النظرية " أنها اعتمدت في تفسير نشأة اللغة على محاكاة أصوات الطبيعة، إلا أننا لو أمعنا النظر في لغتنا لوجدنا كلمات كثيرة إن لم نقل كل كلمات اللغة ليست محاكاة لأصوات المسميات، و ما موقف هذه النظرية من أسماء المعاني: كالحب، و الخير، و الشر و غير ذلك "[21]

ثانيا: التواضع و الاصطلاح Convention et terme

قال ابن جني في كتابه الخصائص:" إن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة، و ذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعوا لكل منها سمة أو لفظا يدل عليه و يغني عن إحضاره أمام البصر، و طريقة ذلك أن يقبلوا مثلا عن شخص و يومئوا إليه قائلين: إنسان؟ فتصبح هذه الكلمة اسما له، و إن أردوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه أشاروا إلى العضو و قالوا: يد، رأس، قدم...إلخ و سيروم على هذه الوتيرة في أسماء بقية الأشياء، و في الأفعال و

[18] عبد العزيز مطر: علم اللغة و فقه اللغة، دار قطري بن الفجاءة 1985، ص 140/139 (بتصرف).
[19] ابن جني: الخصائص، ج 1، ص 47/46.
[20] رمضان عبد التواب: مدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، ط 1، 1983، القاهرة، ص 113/112.
[21] نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزريطة، الإسكندرية، 2000، ص 48.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

الحروف، و في المعاني الكلية، و الأمور المعنوية نفسها، و بذلك تنشأ اللغة العربية مثلا. ثم يخطر بعد ذلك لجماعة منهم (مرد) بدل إنسان و كلمة (سر) بدل رأس، و هكذا فتنشأ اللغة الفارسية "[22].

و عند قراءتنا لهذا المذهب نرى أنه لا يستند على منطق قيام نشأة اللغة على المواضعة و الاصطلاح، " إذ كيف يمكن التفاهم و الاصطلاح على تسمية الأشياء و ليست هناك لغة أصلا، فكيف يجمع هؤلاء الحكماء و يتفقوا على تسمية الأشياء؟ و من أين جاءت هذه التسميات للأشياء و ليس هناك وجود للغة ؟ "[23]

ثالثا: الوحي و الإلهام Révélation et inspiration

و تذهب هذه النظرية إلى أن الله سبحانه و تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام وألهمه أن يضع أسماء لمسميات الأشياء التي خلقها، و يستند أنصار هذه النظرية إلى أدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة كالإنجيل و التوراة و القرآن الكريم. فاليهود و النصارى يستدلون بما ورد في التوراة من قولها " و جبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية، و كل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، و كل ما دعا له آدم ذات نفس حية فهو اسمها، فسمى آدم البهائم و طيور السماء و جميع حيوانات البرية " 24. أما العرب من يؤيدون هذا المذهب يستدلون بقوله تعالى:" وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاء إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ " سورة البقرة الآيات 31،32،33. والمقصود بالأسماء، هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة، و أرض، و سماء، و سهل و جبل و ما أشبه ذلك من الأمم و غيرها، و قد ارتضى ابن فارس هذا المذهب "[25]. أما ابن جني فكانت وجهة نظره حول هذه النظرية أو المذهب، تتلخص في قوله: " و ذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها " 26. و لا ريب أن هذه عقيدة راسخة لدينا نحن المسلمين في أحقية إرجاع هذه النظرية إلى أصول تاريخية مستمدة من القرآن الكريم باعتباره كتاب الكتب و صمام الأمان، يقول في هذا السياق مسعود بودوخة في كتابه الموسوم " فقه اللغة دروس و نصوص " : " و هذا المعنى عند الله سبحانه و تعالى لا محالة، و هو عقيدة راسخة عندنا نحن المسلمين، فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به، وهذا رأي أبي الحسن الأخفش على أنه لم يمنع قول من قال إنها تواضع منه، على أنه فسر هذا بأن قيل: إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية، و الفارسية، و السريانية، و العبرية، و الرومية، و غير ذلك من سائر اللغات..."[27]

---

[22] ابن جني: الخصائص،41/1.

[23] نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص 46.

[24] سفر التكوين (العهد القديم) 19/2.

[25] ينظر: الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها لأحمد بن فارس، ص 6.

[26] ينظر: الخصائص لابن جني، 40/1-41.

[27] ينظر: فقه اللغة دروس و نصوص لمسعود بودوخة، دار طليطلة، ط 1، 2016، ص 26.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المحاضرة الثالثة: اللغة العربية و اللغات السامية، اللغة العربية ولهجاتها.

أولا: اختلاف الألسنة:

ورد في كتاب " الخصائص " لابن جني، بأن سبب اختلاف اللغات يرجع إلى أن الله سبحانه و تعالى علم آدم عليه السلام أسماء جميع المخلوقات، و بجميع اللغات و الألسن: العربية و الفارسية، و السريانية و العبرية و الرومية، و غيرها من الأسماء، و قد تكلم آدم بها، كما تكلم بها ولده. و لما تفرق ولد آدم، علق على كل منهم بلغة منها. غلبت عليه و اضمحل سواها. و هذا يدل على إيمانه بنشأة لغة واحدة ثم تفرع هذه اللغة، و هذا ما يدل على أن نشأة اللغة في الأصل يعود إلى أنها توقيفية من الله تعالى إلى آدم عليه السلام. و قد تعرض ابن فارس في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها " أيضا إلى هذه القضية، و قال: " بأن الله تعالى علم آدم كل اللغات، فلما حدث الطوفان حدث الاختلاف، و ذلك أن أول من كتب الكتاب العربي و السرياني و الكتب كلها هو آدم – عليه السلام – و ذلك قبل وفاته بثلاثمائة سنة، حيث كتبها على الطين و طبخه، فلما غرقت الأرض وجدت الأقوام كتبا مكتوبة فأصاب إسماعيل – عليه السلام – الكتاب العربي، و اعتمد في روايته على قول ابن عباس رضي الله عنه: (أن أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل – عليه السلام – و ضعه على لفظه و منطقه)[28] " و قد أشار ابن فارس إلى الاختلافات الصوتية، كالاختلاف في الحركات أو الاختلافات النحوية و كالاختلاف في الإعراب، أو الاختلافات الصرفية كالاختلاف في صورة الجمع أو الاختلافات الدلالية كاختلاف التضاد "[29].

ثانيا: تفرع اللغات:

إن الأصل في تشعب الجماعات الإنسانية، يفضي إلى تفرع اللغات، لأن اللغة بنت الاجتماع و هي ألفاظ ملك السامع في الحقيقة لا ملك المتكلم، و هذا الاصطلاح عمل اجتماعي محض لا يتهيأ لفرد فيما بينه و بين ذات نفسه، و من ذلك ما أشارت إليه التوراة فيما يعرف بحكاية تبلبل الألسنة، و قد ذكر تفرق الأمم التي انشعبت من نسل نوح عليه السلام بعد الطوفان، كانت لغة كل فئة تنفصل عن أمها ثم تنمو و تتغير بالاستعمال، فتصير أمّا لفروع أخرى، "و قد رد علماء اللغة و الفلاسفة و تاريخ الأجناس البشرية اللغات إلى ثلاثة أصول، الأصل الآري، و الأصل السامي، و الأصل الطوراني و هم يريدون بهذه الأصول، الأمم التي تتكلم باللغات الراجعة إليها، كما يعدون من اللغات الآرية: السنسكريتية و ما خرج منها: كالهندية و الفارسية و الأفغانية و الأردية و الكردية و البخارية، و غيرها و هي اللغات الجنوبية، ثم اللغات الشمالية و منها اللاتينية و فروعها من: الفرنسية و الإيطالية و الإسبانية و البرتغالية و كذلك الهيلينية و منها: اليوناني القديم و الحديث، و الوندية، و منها لغات: روسيا و بلغاريا و التيوتونية و منها لغات: انجلتر و جرمانيا و هولندا و الدنمارك و إيسلندا. و أما

[28] ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة و سنن العربية في كلامها، ص 15.

[29] يوسف عطا الطريفي : معاني الحروف و مخارجها و أصواتها في اللغة العربية ، دار الإسراء، عمان الأردن، 2002، ص 11.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

الطورنية فيعدون منها الفروع التركية التي يتكلم بها ما بين آخر حدود النمسا الشرقية و آسيا الصغرى، فالتتار إلى ما وراء أواسط آسيا، و شمالا إلى حدود سيبيريا، و هي لغات كثيرة "[30]

ثالثا: أصل العربية:

إن اللغة العربية فرع من فصيلة كبيرة، يطلق عليها فصيلة " اللغات السامية "[31]. ولعل أول من أطلق عليها هذا الاسم " اللغات السامية " هو المستشرق " شلوستر" Schlozer آخذا من جدول تقسيم الشعوب الموجودة في التوراة (2)، و ذلك الجدول الذي يرجع كل الشعوب التي عمرت الأرض، بعد طوفان نوح عليه السلام إلى أولاده الثلاثة: سام، و حام، و يافث.

" و تنقسم اللغات السامية عموما إلى: شرقية و غربية، كما نتقسم السامية إلى: غربية شمالية، و غربية جنوبية.

أما السامية الشرقية: فهي الأكادية بفرعيها: البابلية و الآشورية. و قد وصلت إلينا نقوشا مختلفة، مكتوبة بالخط المسماري على الطين المجفف، و من أهم هذه النقوش: النقش الذي دوّن به قانون: " حامورابي " و هو من أقدم الشرائع الوضعية الأرضية "[32].و لاشك أن موطن هذه اللغة، هو بلاد ما بين النهرين: دجلة و الفرات في العراق، " و اللغة الأكادية اسم جامع أطلقه البابليون، في جنوب أرض الرافدين، على لغتهم البابلية، و لغة إخوانهم الآشوريين، في شمال أرض الرافدين.و هي كذلك في اصطلاح العلماء المحدثين، يطلقونها على اللهجات البابلية و الآشورية المختلفة.

و "أكّاد" في الأصل: اسم المدينة التي بناها " سرجون " في الجزء الشمالي من أرض بابل، حوالي سنة 2350 ق.م، لتكون عاصمة لدولته، و هي أول دولة سامية شهدتها أرض الرافدين " [33].

و نصل الآن إلى القسم الغربي الجنوبي، من اللغات السامية إلى هناك، و يضم لغتين هما: العربية و الحبشية، أما الحبشية فهي لغة ذلك الشعب السامي، الذي خرج من جنوبي الجزيرة العربية إلى البلاد المقابلة لهم، و هي الحبشة، و استعمروها و اختلطوا بأهلها القدامى من الحاميين اختلاطا شديدا.

"أما العربية فتنقسم إلى قسمين هما: العربية الجنوبية و العربية الشمالية. أما الأولى فتعرف عند اللغويين (باللغة الحميرية) و موطنها اليمن و جنوبي الجزيرة العربية، و تنقسم إلى لهجتين هما: السبيئة و المعينية، و قد و صلت إلينا منها كثير من النقوش، التي تتراوح مدتها من القرن الثاني عشر قبل الميلاد، و القرن السادس الميلادي.

أما العربية الشمالية، فهي لغة وسط الجزيرة العربية و شمالها، و هي التي تسمى في عرفنا باللغة العربية الفصحى. و قد كتب لهذه اللغة الخلود، بسبب نزول القرآن الكريم بها، فانتشرت لذلك انتشارا واسعا، كما لم تنتشر أية لغة أخرى من لغات العالم،

[30] مسعود بودوخة: فقه اللغة دروس و نصوص، ص 35/34 (بتصرف).
[31] رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، ص 25.
[32] نفس المرجع، ص 26.
[33] يعقوب بكر: دراسات في فقه اللغة العربية، ص 6.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة، الجائزة في العبادة و لهذا السبب تفوقت العربية الشمالية تفوقا كبيرا على كثير من اللغات، التي كان يتكلّمها المسلمون.

و كان إلى جانب هذه العربية الفصحى، لهجات عربية مختلفة بالجزيرة العربية، غير أن معرفتنا بها غير كبيرة، بسب عزوف اللغويين العرب عنها، و عدم اهتمامهم بدراستها" [34].

و فيما يلي: "تخطيط عام، يبين علاقة السامية بعضها ببعض:

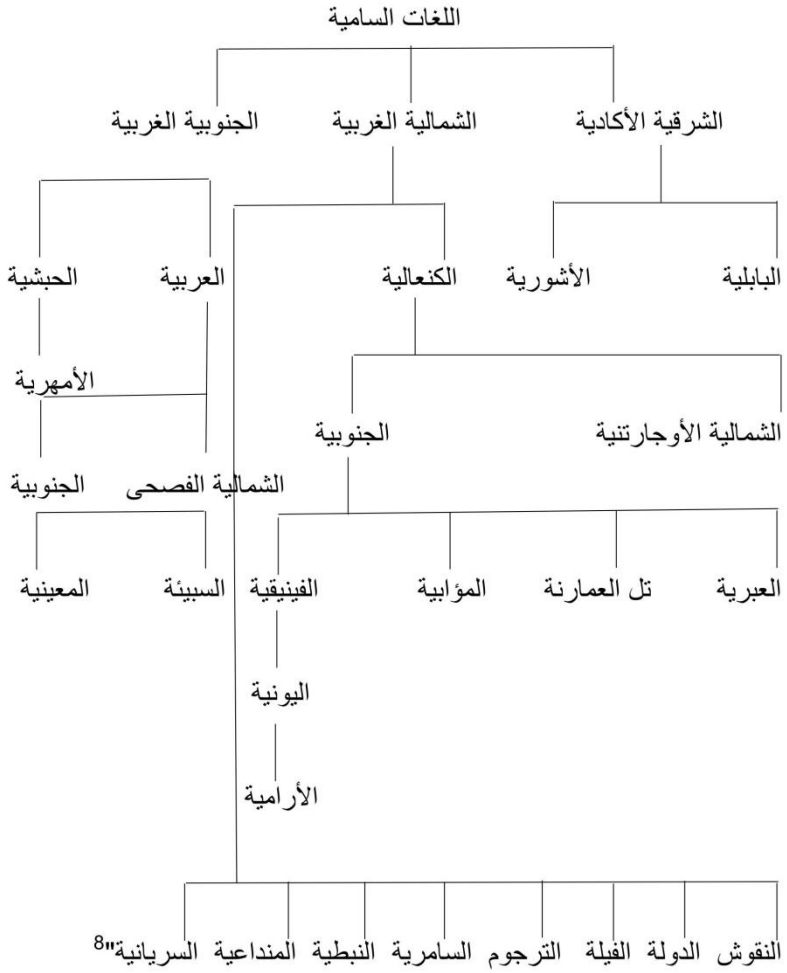

[34] ينظر: تفصيلا أكثر في: اللغات السامية للمشرق تيودور نولدكه، وفقه اللغات السامية للمستشرق كارل بروكلمان.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

"نماذج من خطوط اللغات السامية و أبجدياتها"[35].

الأوجارتينية	الحبشية	العربية الجنوبية	العربية	السريانية	العبرية	اللاتينية
			ب			b
			ع		U	A
		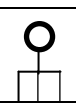	ص	ک	Y	S

الموطن الأصلي للساميين:

لقد تعددت آراء العلماء و نظرياتهم حول الموطن الأصلي للساميين القدماء، و تفرع بهم البحث العلمي إلى عدة مذاهب، يمكن إجمالها في الآتي:

1-المذهب الإفريقي: و صاحبه هو المستشرق تيودور نولدكه الذي يقول: " والقرابة الكائنة بين اللغتين: السامية و الحامية، تدعو إلى الاعتقاد بأن الموطن الأصلي للساميين كان في إفريقيا، لأنه من النادر أن يظن أن الحاميين كان لهم موطن أصلي في القارة السوداء"[36].

2-المذهب البابلي: و ممن ذهب إلى ذلك من المستشرقين:" إجناتسيو جويدي و فريتس هومل و غيرهما، فقد حاول جويدي أن يبرهن على أن الوطن الأصلي للساميين، يقع أسفل الفرات، و هو يريد أن يثبت أن المفاهيم الجغرافية و النباتية و الحيوانية، التي عبر عنها في كل لغة من اللغات السامية، بكلمات موحدة قديمة، هذه المفاهيم لا تشير إلا إلى الظروف الطبيعية لتلك المنطقة"[37].

"ويعتمد هذا المذهب على دراسة مفردات اللغات السامية، فقد لاحظ المستشرق جويدي مثلا: " إن كلمة " نهر " توجد بلفظها هذا على وجه التقريب، في جميع اللغات السامية، في حين تختلف الكلمة التي تدل على الجبل في هذه اللغات، فهي في العربية: " جبل " و في العبرية " هر " و في الآرامية " طورا " و في الأكادية " شد ". و بعد أن قارن هذا المستشرق كثيرا

[35] نفس المرجع: ص 37.
[36] تيودور نولدكه: اللغات السامية، ص 22.
[37] نفس المصدر: ص 25.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

من أسماء المعادن و النباتات و الحيوان و التقلبات الجوية و التغيرات الجيولوجية، أثبت أن قدرا كبيرا منها، يشبه ما في اللغة الأكادية، و استخلص من ذلك، أن سهول العراق، هي الموطن الأصلي للساميين"[38].

3-المذهب العربي: و من أنصاره المستشرقون: شبيرنجر، و دي غويه، و كايتاني، و موسكتاي، و غيرهم " و يذهب هؤلاء جميعا، إلى أن جزيرة العرب، هي المهد الأول للساميين، و يستدلون على ذلك بأدلة، تكاد تكون قاطعة، و من أهم هذه الأدلة ما يلي:

3-1-يذكر لنا التاريخ، أن الساميين الذين عاشوا في جزيرة العرب، إنما ذهبوا إليها مغيرين، أو مهاجرين، فقد لوحظ في العصور التاريخية كيف أن بلاد الحضارة فيما بين النهرين و سوريا، كانت تكتسحها دائما و أبدا موجات من القبائل البدوية، القادمة من الصحراء العربية، و هي المسماة بالموجة العربية، في صدر آسيا و شمال إفريقيا "[39].

و لذلك جاز لنا أن نبحث في الجزيرة العربية و صحرائها عن الموطن الأصلي للشعوب السامية.

3-2-إن هجرة الساميين من الجزيرة العربية، مما " يتفق تماما مع القوانين الاجتماعية و الاقتصادية، فظروف الحياة القاسية في الصحراء، هي التي تجعل البدو القاطنين فيها يتطلعون إلى الحياة المستقرة في البلاد المجاورة المتحضرة، و يحدث ذلك أمام أعيننا كما حدث في الماضي، لأن الحياة في الصحراء لم تتغير اليوم تغيرا جوهريا، كما كانت عليه قبل خمسة ألاف سنة " [40].

3-3-جميع سكان بلاد العرب الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس البشرية، لهم مميزات الجنس السامي الخلقية و الخُلقية، و لغتهم على ما يرى المحققون من علماء الساميات من أمثال: بروكلمان، و رايت، ونولدكه، أقرب اللغات إلى السامية الأم.

نستنتج مما سبق أن كل هذه الأدلة و الشهادات التاريخية العربية و الاستشراقية، أنها تسيطر في العصر الحاضر، تلك النظرية التي تقول بأن شبه الجزيرة العربية، هي الموطن الأصلي للساميين، و منها انطلقوا عبر التاريخ إلى بلاد الرافدين، و سوريا، و فلسطين، و الحبشة، و شمالي إفريقيا، و مصر، وكونوا الدول و الممالك التي عرفناها من قبل في دروس التاريخ و اللغة و علم أصول الكلام و فقه اللغة من قبل.

رابعا: علم اللهجات

قبل الحديث عن اللغة العربية و لهجاتها القديمة، يجدر بنا التطرق إلى معالجة موضوع علم اللهجات بصفة مفهومية أونطولوجية.

[38] رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص 40.
[39] تيودور نيودلكه: اللغات السامية، ص 12.
[40] رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص 42.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

اللهجة في العرف الاصطلاحي:

"تطلق اللهجة (Dialecte) في الاصطلاح العلمي على مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة. و يشترك فيها أفراد البيئة، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع و أشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، و لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية، و تلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي اللغة "[41].

و يطلق على العلم الذي يدرس اللهجات ، و يحدد مناهج دراستها، اسم (Dialectologie) أو علم اللهجات، بنفس المنهج اللساني الذي تدرس به أية لغة، فتعين خصائصها الصوتية، و الصرفية، و النحوية، و الدلالية، و يوضع معجمها، وتبين حدودها في أطالس لغوية، وتدرس الصلة بين اللهجة و المجتمع، و بينها و بين البيئة الطبيعية، و توجد فروق بين اللغة و اللهجة، حيث أن الأولى أي اللغة أعم و تشمل عدة لهجات، و هناك من اللغويين من لا يفرق بين اللغة و اللهجة، و يرى أن اللغة المشتركة لم تكن إلا لهجة من اللهجات تغلبت لسبب ما، كلهجة قريش التي أصبحت العربية الفصحى، و لهجة لندن التي أصبحت اللغة الإنجليزية و لغة الولايات المتحدة الأمريكية فيما بعد، أو ما يمكن أن يطلق عليه بالنظام الأنجلوساكسوني، أو لهجة باريس التي أصبحت اللغة الفرنسية و ما جاورها من بعض الدول الأوروبية و الساحل الإفريقي أو ما يمكن أن يطلق عليه بالنظام الفرنكفوني. كما توجد فروق بين اللهجة التي لم يتكلم بها سكان المنطقة جميعا، و بين ما يسمى " اللغات أو اللهجات الخاصة " و هي ما حددها اللغوي الفرنسي فندريس، اللغة التي لا يستعملها إلا جماعات من الأفراد وجدوا في ظروف خاصة مثل:

1-لغة المشتغلين بالقانون، أو الهندسة أو الطب أو الفن الدرامي...إلخ

2-لغة الطقوس و الأساطير و الشعائر الدينية.

3-اللغة العامية الخاصة المسماة بـ: L'Argot، كاللهجات و الرموز و الكنايات التي يستعملها الشبان و الكشافة و طلاب المدراس و العمل فيما بينها، و اللغات السرية التي تستعملها العصابات الإجرامية و أفراد الجيش..

و لذلك يعنى اللغوي ببيان الفروق، و دراسة لهجة كل طائفة، لبيان خصائصها و الصلة بينها و بين اللغة المشتركة (لغة الجماعة).

خامسا: اللغة العربية و لهجاتها القديمة:

إن اللغة العربية من اللغات السامية الجنوبية بحسب جمهور الباحثين. "و قد لاحظ العلماء صلة واضحة بين اللغة العربية و اللهجات اليمنية القديمة (المعينية و السبيئة و الحميرية القديمة و القتبانية و الحضرمية) و قد عثر على كثير من النقوش التي ترجع إلى هذه اللهجات في اليمن و شمال الحجاز.

[41] إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ، ص 16....

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

و يسمي بعض الباحثين اللغة العربية القديمة " العربية البائدة أو عربية النقوش " نسبة إلى نقوش اكتشفت في شمال الجزيرة العربية و الشام، و هي نقوش تتفق لغتها مع العربية الباقية في كثير من الخصائص الصوتية و النحوية، و في بعض الأفعال المستعملة بصيغتها و معانيها"[42].

أما اللغة العربية الباقية فهي هذه اللغة التي بين أيدينا، و التي تعود إلى فترة ما قبل الإسلام، وبها نزل القرآن الكريم.

" و قد اختلف الدارسون حول هذه اللغة العربية الباقية، هل هي لغة قريش التي سادت على غيرها من اللهجات العربية الأخرى، أما هي لغة كانت مشتركة بين جميع القبائل؟ و لكل أدلته، و مهما يكن من أمر فقد اصطبغت العربية الباقية بصبغة الإسلام، و كان أثره فيها واضحا، حيث نقل كثيرا من الألفاظ من معانيها القديمة إلى معان جديدة، و ألغى بعض الألفاظ الجاهلية، و استحدث ألفاظا جديدة للدلالة على بعض المعاني المستحدثة. و يظهر أثر اللهجات العربية القديمة في القراءات القرآنية التي تختلف في مجموعة من الخصائص من قبيل تحقيق الهمزة و عدمه، و الإظهار و الإدغام، و الفتح و الإمالة، و التفخيم و الترقيق، و كذا الاختلاف في حركة الكلمات أسماء و أفعالا "[43].

و نخلص في الأخير إلى أن كتب اللغة قد سجلت عددا من الصفات الخاصة باللهجات العربية القديمة، و هي صفات عدت مذمومة منافية للفصاحة:

كالتلتلة، و الشنشنة، و العجعجة، و العنعنة، و الكسكسة، و الكشكشة، و الوتم، و الوهم، و غيرها.

[42] مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب.....ص...

[43] مسعود بودوخة: فقه اللغة دروس و نصوص، ص 48. و لمزيد من الاطلاع ينظر: المزهر في علوم اللغة و أنواعها للسيوطي، و تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، و العربية خصائصها و سماتها لعبد الغفار حامد هلال و فقه اللغة لأسعد النادري، و دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المحاضرة الرابعة: النبر في اللغة العربية ***Rythme Accentuel***

توطئة:

تنتهي المحاضرة السابقة بنا إلى الانعطاف إلى النظريات اللسانية القائلة بأن النص يخلق سنن تأويله ويهدي إلى طريقة قراءته ومعالجته.

إن دراسة الإيقاع المقطعي تقودنا حتما إلى إيقاع النبر وهو بدوره مسألة لغوية جوهرية تسهم في توليد الشحنة النغمية التي تزيد في توليد آلية الإيقاع وبيان أنماطه الدلالية.

وهذا ما يكشف في اعتقادنا عمّا في اللغة العربية من جمالية التنوع "وهذا يعني أن اختيار الصيغة الصرفية أو نظام التشاكل الصوتي بين الكلمات فعل إنشاء يعضد قصد الدلالة، ويساهم في تصوير المعنى كذلك..."[44].

ويعد الإيقاع أحد أهم عناصر إنتاج الدلالة في اللغة العربية، فالأبنية الإيقاعية تكون قوية ومتجانسة بحجم عمق كلمات النص ودلائليتها (تركيبا ومعجما). مما يولد علاقة التأثير والتأثر بين النص والمتلقي أو أمارات المشاركة الانفعالية والوجدانية بين النص المنطوق (المقروء) والنص المكتوب (المنزل) كمادة خام تحتاج عند التأويل إلى ربط شبكة حركية من التفاعلات بين النص والمتلقي. ولعل مصطلح الحركة حري بأن يكون رفيقا للإيقاع: "لأن الإيقاع هو حركة ضد السكون الدائم، والكون كما خلقه الله تعالى مليء بالحركة، لأنه في إيقاع مستمر وعندما يتوقف الإيقاع تتوقف الحياة"[45].

ولعل الحركة الإيقاعية في النص القرآني أو الواردة في ثنايا الخطاب هي إحدى جمالياته أو هي التي ترسم التمثيل البياني لحركة الإيقاع من حيث الصعود أو الهبوط أو الاستواء.

ولئن كان الخطاب الشعري يعبر بأشكال الحروف عن مضامين الكلمات، فإن الخطاب القرآني يعبر بإيقاع الحروف والكلمات والأصوات عن مضامين الآيات. "فالإيقاع هو بناء اللغة وبناء المعنى في الوقت نفسه"[46].

وقد عرف مصطلح الإيقاع قديما كمصطلح موسيقي[47]. ونظر إليه حديثا باعتباره إشارة[48]. بحكم طبيعته التوصيلية، وعندما ينظر إليه بوصفه توصيلا فنحن معنيون بعلاقة هذا التوصيل النص/ المتلقي، وهذه العلاقة تتحقق عندما ترتبط الأبنية الإيقاعية بعضها ببعض في تتابع يحمل دلالات جزئية تنمو شيئا فشيئا بهدف الوصول إلى الدلالة الكلية، كما

---

[44]– فن الشعر ورهان اللغة (بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري): أحمد حيزم، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع–كلية الآداب والعلوم الإنسانية– صفاقس– سوسة، تونس، ط1، 2001، ص 249.

[45]– حركة الإيقاع في الشعر الجزائري المعاصر: عبد الرحمن تبرمسين. مجلة كلية الآداب وعلوم اللغة ، المجلد 60، العدد 3، يوليو 2000، ص 180.

[46]– تحليل الخطاب الشعري (البنية الصوتية في الشعر): محمد العمري، الدار العالمية للكتاب، ط1، المغرب، د.ت، ص 204.

[47]– سبق الحديث عن هذه المسألة في مدخل البحث.

[48]– الإيقاع في شعر السياب: سيد البحراوي، ص 33.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

تتحقق بشكل واضح من خلال الترتيل أو التجويد أو الإنشاد، حيث يتلى النظام الصوتي في القرآن الكريم وفقا للنظام الإيقاعي للغته والذي يتمثل في عملية التناسب بين الأبنية الإيقاعية.

كما أنه يؤمِّن من خلال ترتيله وتجويده أن التأثير الجمالي للخطاب القرآني في سياقه الصوتي ومن ثم فإن التغني والإنشاد يقومان بتحديد الأبعاد الزمنية للأبنية الإيقاعية لا سيما أنهما يلعبان الدورالرئيس في:

1– إظهار السمات الجوهرية لبنية الإيقاع التي تشمل ثوابت رئيسة وتعويض ما يصيب هذه الثوابت من متغيرات، وإيضاح خصائص الأصوات وصفاتها ما بين متحرك وساكن وما بينهما من فروق نسبية، كما تتضح النماذج التنغيمية في السياق ذاته.

2– إعطاء الأبنية الإيقاعية قدرة كبيرة على الإقناع من خلال منطقيتها وتواصلها مع العلاقات الداخلية للنص وتشابكها مع البناء الدلالي.

3– تكون الأبنية الإيقاعية أكثر قدرة على تحقيق الانفعال الذي يثير ذهن المتلقي، وعندئذ تتضح أبعاد البناء تجاوبا مع البناء الدلالي حيث تبدو منطقية السياق الإيقاعي، ومدى تفاعل ذات القارئ مع الخطاب (النص)، ومن ثم يتهيأ لنا توحيد النص القرآني لفظا ومعنى إدراكا وشعورا، وتحقيق التآلف بين مختلف أبنيته بدءا من الآية إلى بنائه الجملي إلى تركيبه المقطعي وصولا إلى بنائه الإيقاعي. فبنية الإيقاع من خلال الإنشاد (الترتيل والتجويد) تتمتع بالحيوية والتغيير من إيقاع لآخر والترابط والمنطقية كما أنها تخلق علاقة وثيقة بين الخطاب والمتلقي.

وأخيرا فإن النص القرآني من خلال الإنشاد (الترتيل والتجويد) يطرح جملة من الاعتبارات التي ينبغي النظر إليها على أنها ذات أثر واضح في تشكيل البناء الإيقاعي، فالأبنية الكمية /المقاطع، والأبنية النبر والتنغيم تتأثر بالإنشاد (الترتيل والتجويد) بشكل مباشر، وهو ما سوف يتضح في تفصيل كل منهما.

1– النبر من منظور القدامى والمحدثين:

يشير مصطلح النبر إلى "نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره"[49]. ومعنى هذا فإن النبر ما هو إلا شدة في الصوت أو ارتفاعا فيه، وتلك الشدة أو الارتفاع تتوقف على نسبة ضغط الهواء

– علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 513. وينظر كذلك:

– دراسة السمع والكلام (صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدارك): سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب القاهرة، 1980، ص 155.

– اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة، ، ط2، 1973، ص 170.

– مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995، ص 160.

– الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1971، ص 175.

– دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص 360.

– من وظائف الصوت اللغوي: أحمد كشك ، ص 117.

– علم الأصوات: برتيل مالبرج، ص 197.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المندفع في الرئتين، حيث يرتبط النبر بالشدة والمدة والدرجة أحيانا[50]. ومن ثمّ "تتفاوت درجات النبر تبعا لاستمرارية جهاز النطق وثباته على وضع نسبي معين عند إنتاج حركة ما، وهو ما تتفاوت به الحركات طولاً وقصرًا"[51].

ولقد شهد مصطلح النبر قديما وحديثا اتفاقا في تحديد مفهومه، بينما شهد اختلافا وصل إلى حد التداخل والاضطراب في تحديد دوره في النص الشعري، فبرغم اهتمام القدماء بدراسة النبر في الكلام المنثور ونظم القرآن الكريم إلاّ أنهم لم يحددوا دوره في الإيقاع القرآني، وانطلق المحدثون من أن "النبر في اللغة العربية ليس صفة جوهرية في بنية الكلمة وإن يكن ظاهرة مطردة يمكن ملاحظتها وضبطها"[52].

وقد وضح القدماء مصطلح النبر دونما تحديد لأهميته في النص الشعري[53]. وقد حدد عديد الدارسين أنواعا للنبر متعددة اتفق معظمهم على تقسيم النبر إلى ثلاثة أقسام: القوي والوسيط والضعيف[54]. وقد رمز للقوي بالعلامة (**I**) وتوضع في بداية المقطع المنبور إلى أعلى، ورمز للوسيط (ا) وتوضع في نهاية المقطع المنبور لأسفل؛ ولم يوضع أي رمز للضعيف.

ولقد اقتصرت الدراسات التطبيقية على نوعين فقط للنبر هما: القوي والضعيف[55]. بغية مزيد من الدقة والوضوح وهو ما اعتمدت عليه هذه الدراسة ضمن هذه المحاضرة.

تختلف أهمية النبر من لغة إلى أخرى فهناك لغات نبرية *Langues Accentuelles* وبالإنجليزية *Stress Languages* وهي التي يعتمد تشكيل الدلالة فيها على النبر، حيث تتغير الأبنية الدلالية بتغير المواضع النبرية فيها مثل الإنجليزية والفرنسية والبولندية، والفلندية، فتفرق الأنجليزية بين الاسم والفصل باختلاف مواضع النبر، بينما تضع الفرنسية النبر على المقطع الأخير من الكلمات، وتضع البولندية النبر على المقطع قبل الأخير، وتضع الفلندية النبر على المقطع

---

[50]– الأصوات العربية: دار إبراهيم أنيس، ص 175- 176.

[51]– المصطلح اللساني وتحديث العروض: سعد مصلوح، مجلة فصول يوليو 1986، ص 190.

[52]– موسيقى الشعر العربي: شكري محمد عياد، ص45.

[53]– ذكر ابن جني مصطلح نبر السياق أو النبر الدلالي ووصفه "بأنه زيادة في قوة اللفظ والتمكين من مد الصوت وإطالته وتفخيمه"
- الخصائص، ص 270.
وأكد في موضع آخر أن نبر السياق "هو تمكين الصوت وزيادة الإشباع فيه". الاعتماد(المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها):
- أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، د.ت، ص: 1 /259.
وينطلق ابن جني في التأكيد على أن الأصوات "تابعة لمعاني فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت، ضعفت"
- نفسه، ص:2 /210.

[54]– دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، ص: 190. و علم الأصوات: كمال بشر ، ص: 513، 514.

[55]– من هذه الدراسات: الإيقاع في شعر السّياب: سيد البحراوي. ومن الصوت إلى النص (نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري): مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة العامة لقصور الثقافة 1996. ونظرة جديدة في موسيقى الشعر: علي يونس، الهيئة العامة للكتاب القاهرة، 1984.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

الأول من الكلمات، ولغات غير نبرية[56]. *Langues inaccentuées* مثل العربية حيث يكون النبر فيها متغيرا وفقا للسياق ولا يشكل تغيرا دلاليا بين الكلمة أو الجملة.

2– إيقاع النبر من منظور المحاضرة: صوره، سماته ووظائفه

من هنا ينبغي علينا أن نتساءل، ما الهدف من دراسة النبر في النص القرآني ؟

بداية ينبغي أن نقر أن التصورات النظرية الحديثة حول النبر تحمل جوانب كثيرة من الحقيقة والمنطقية، كما نؤكد بأن دراسة النبر ليست تصميما هندسيا أو معادلة رياضية يمكن تصورها تصورا كاملا، ولكنه وسيلة لتحقيق غاية، فالنبر بمثابة المنبه الصوتي الذي يثير فينا الانفعال، كما أن تحقق النبر يكون وفقا للسياق الصوتي والدلالي باستثناء بعض المقاطع التي تأتي منبورة كالمقطع الطويل/ المقطع زائد الطول، ومن ثمَّ ينبغي التأكيد على أن دراسة النبر في النص القرآني تعتمد في الأساس على النص المنطوق سواء كان ذلك بصوت المرتل المجيد أم غيره، فإذا كان صوت المرتل المجيد (المقرئ أو المجوّد) فهو الأفضل على اعتبار أن نطقه للنص القرآني المقدس يأتي متوافقا مع حالته الشعورية والنفسية والدلالية التي يرغب في التعبير عنها[57].

فالنماذج النبرية تتضح في النص القرآني من خلال الإنشاد (الترتيل أو التجويد) باعتباره جوهر الأداء الصوتي الذي كان يعتمد عليه القدماء في إثراء إحساسهم بالأداء الموسيقي للنصوص الشعرية، وعندما نزل القرآن بلغتهم وتحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا لهذا الخطاب النظمي الباهر، أرادوا الموافقة بين شعرية الشعر ونظم القرآن فمالوا إلى نظم القرآن رغم كونهم معارضين له.

فالشاعر العربي قديما كان يتكلم وفقا للنظام السائد في لغته الذي يحمل بدوره نوعا من المحاكاة بينه وبين مشاعره الخاصة، فيطبع النص بإيقاعه الخاص، ومن هذا المنطلق تتجلى العلاقات الترابطية الدفينة بين المحاكاة النفسية والصوتية.

وقد أشار أحمد مختار عمر أن تأثير النبر في إبراز الدلالة قد يصل ما بين30، 35% على مستوى الجملة في بعض النصوص[58]. ورغم أننا لا نعرف ما الذي اعتمد عليه أحمد مختار عمر في الوصول إلى هذه النسبة، إلاّ أننا لا نختلف في أنّ للنبر تأثيرًا واضحا على المستوى الدلالي ويشكل لبنة من لبنات البناء الإيقاعي.

ولا شك أن هذه الرؤية لن تدفعنا إلى التسليم بأن تأثير النبر قد يشكل مرتكزا دلاليا يصل إلى الحد الذي يوصف من خلاله النبر بأنه بمثابة الفونيم "فالوضوح السمعي في العربية للنبر ضعيف إذا قيس بالنبر في الإنجليزية[59]. لأنه يكوّن ما

---

[56]– الدلالة الصوتية: كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1992، ص 197.

[57]– ينظر من الصوت إلى النص: مراد عبد الرحمن مبروك، ص 36.

[58]– الانحراف اللغوي في الإعلام المصري: أحمد مختار عمر، بحث غير منشور محاضرة ألقيت بمجمع اللغة العربية، سنة 2000.

[59]– نظرة جديدة في موسيقى الشعر، ص 29.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

يسمى بجزئيات الكلام "فهو ملمح صوتي يؤثر على الأصوات الكلامية ولهذا فهو فونيم إضافي أو ثانوي *Phonème Secondaire*"[60].

ومن ثمّ فإن النبر لا يحدث تغيّرا دلاليا جذريا أو تأثيرا كميا، فتأثيره يقتصر على الناحية الكيفية، فالمقطع المنبور أطول زمنيا من نظيره غير المنبور لكن هذا الطول لا يصل إلى الحد الذي يتحول فيه مقطع قصير إلى طويل، فالعلاقات النبرية تتميز بأنها إيمائية غيابية تعتمد على الأداء الصوتي الذي يستدعي بدوره تشكيلا دلاليا خاصا، وليس بالإمكان القول بوجود أو وجوب علاقات نبرية محددة النسب في قصيدة شعرية ما أو في نص قرآني بعينه...

وقد حاول أحمد مختار عمر[61]. استخلاص بعض الأمثلة التي يلتمس فيها فونيمية النبر ولا يدعي لها صفة القطع نحو: [أ] كَريمُ الخلقِ – كريمُو الخلقِ.

فنحن نفترض أن التمييز بينهما كان بوضع النبر مع المفرد على المقطع الأول ومع الجمع على المقطع الثالث... وهكذا.

وقد عرض سيد البحراوي[62]. لهذه الفكرة مؤكدا على أنها مفيدة حيث الارتباط الواضح بين النبر والمعنى أو تحديدا تأكيد المعنى.

وقد تناول كمال بشر[63]. عديد المواضع التي دائما ما يصاحبها النبر حيث يتغير موضع النبر أو يحدث نوعا من الانتقال من حالات أو مقامات لغوية موظفة في جمل ليس لها مقصد بياني خاص، كما أنه ينطلق من خلال الإيمان بأن أصوات اللغة بالذات لا يمكن التصرف عليها أو الوقوف على خواصها إلا بالسماع لمنطوق واقع بالفعل وفي غيابه مظنة الخطأ أو الخلط في التطبيق ومن هذه المواضع:

1– عند إرادة التأكيد أو بيان المفارقة، حيث يقتضي الأمر اهتماما بالكلمات التي تفي بالغرض المطلوب نحو ← [أنا لا آكل في الصباح عادة].

فقد يقع النبر على الضمير (أنا) عند إرادة التوكيد أو بيان أن المتكلم يعني نفسه بالذات لا غيره، وقد يقع النبر على أداة النفي (لا) بقصد إزالة الشك عند السامع أو تأكيد المعنى وتوضيحه، وربما يستوجب الأمر كذلك نبر كلمة (عادة)

---

[60]– أسس علم اللغة: ماريو باي، ص 92.

[61]– دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختارعمر، ص 361.

[62]– الإيقاع في شعر السّياب: سيد البحراوي، ص 16.

[63]– علم الأصوات: كمال بشر، ص 520- 524.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

لبيان أن هذا السلوك من المتكلم عادة عنده، وفي هذه الحالات تتغير درجات النبر طبقا للسياق / المعنى المقصود؛ فالنبر القوي قد يصبح ضعيفا حسبما تقتضي أبنية النص الدلالية[64].

2– إن أساليب التحذير والإغراء والتعجب والاختصاص، في الخطاب القرآني، تتلقى بمكوناتها حتما نبرا أشدّ وأقوى مما تتلقاه هذه المكونات في أساليب أخرى وفقا لمقتضياتها السياقية، وهناك عديد السياقات التي أشار إليها كمال بشر في محاولة عميقة تتضح أهميتها من خلال انسيابية الإنشاد والتغني بأساليب الخطاب القرآني، حيث يتشكل النبر وفقا لسياق الجمل ضمن التركيب النحوي والصوتي للآية، فمواقع النبر تتعدد وتتغير بتعدد الأغراض والمقاصد التشريعية وفي كل الحالات لا يزال المعنى العام للجملة القرآنية ثابتا وإن استُمد منه بسبب تغير درجات النبر ملامح دلالية إضافية/ ثانوية أو هامشية تفيد أغراضا مقصودة كالتأكيد أو شدة الاهتمام أو المفارقة... إلخ[65].

إن إيقاع النبر نظام بين مجموعة من الأصوات تتجسد لإبراز المحتوى الدلالي، تدرك من خلال الحس فتخضع للوصف، فالنص القرآني يوزع الدلالة التي يريد التعبير عنها على المواضع النبرية التي يرغب في إظهارها، ولا توجد مقاطع ثابتة للنبر حيث يكون "للنبر وجود أوضح في الكلام المسموع دون المكتوب يجعله أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه"[66]. وإيقاع النبر في النص القرآني يتيح للمتلقي أو السامع أو المقرئ مزيدا من الحرية في تنويع إيقاعه، فاستنتاج مواضع نبرية ثابتة ينبغي أن يكون نابعا من داخل النص وليست مفروضة عليه من سياقات لغوية خارجية معدة سلفا، فأداء المقرئ أو المجود أو القارئ لا يقوم على حدود صوتية واحدة، ولذلك تختلف رواية القراءات وتتعدد أساليب القراءة ويتعدد نمط التأويل، فقد يرتفع الأداء عند بعض المقاطع أكثر مما يرتفع عند غيرها، مما يتبع ذلك وضوحا سمعيا "فالصوت يكون بارزا عندما يكون أطول وأعلى وأوضح بسبب قوة نفسية أشد، فنبر الانفعال يقودنا حتما إلى نبر الجملة"[67].

إن النبر لا يحدد معنى وظيفيا أو معجميا، وإنما يحدث تباينا دلاليا، فهو بروز صوتي يتحكم فيه أداء المقرئ وله مطلق الحرية في تحديد مواضعه، الأمر الذي يتيح له أن يخلق إيقاعه الخاص كما يشاء، وفق مقولات نبرية ونغمية متعارف عليها ومسلَّمٌ بها.

فمحتوى النص القرآني هو الذي يحدد المواضع النبرية، وتقرير ما هو رئيسي وما هو ثانوي يكون تبعا لمعنى النص في مجمله، وفقا لإحساس المقرئ المرتل أو المجود وانفعاله، فالنص القرآني المقدس معجزات ربانية وطاقات لغوية لا تنضب وإبداع إلهي متجدد لا تقيده مبادئ مطلقة، ومن ثمَّ فإن القواعد التي تحكمه ليست بالضرورة خاضعة لمنطق الثبات والاستقرار.

---

[64]– نفسه، ص 520.

[65]– لمزيد من التوضيح ينظر: علم الأصوات: كمال بشر، ص 524 (بتصرف) .

[66]– اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص 47.

[67]– الدلالة الصوتية: كريم زكي حسام الدين، ص 196– 197 (بتصرف) . وينظر كذلك علم الأصوات: برتيل مالبرج، ص 198.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

وقد اعتمدت هذه المحاضرة في تحديد بعض مواضع النبر في بعض القصائد الشعرية والآيات القرآنية على مجموعة من الأبحاث التي تناولت النبر[68]. بينما اعتمد هذا البحث في تحديد مواضع النبر في الآيات المنطوقة على إنشاد (ترتيل وتجويد) المقرئ، حيث تتكون مواضع النبر في بعض النصوص القرآنية كالآتي:

1– الحرف المكون من مقطع واحد متحرك (قصير) مثل واو العطف (و) يكون منبورا عندما تسبقه سكتة، بينما يفقد نبره عندما يرتبط بغيره من الكلمات ولا يسبق بسكتة.

يرفض ستانيسلاس قويار أن تتلقى الكلمات المكونة من مقطع واحد ارتكازا حالة وجودها منفردة كما يرفض ذلك أيضا كمال أبو ديب.

2– الكلمة المكونة من مقطعين متحركين نحو: (لَكَ) أو من متحرك وساكن نحو: (مَنْ) تأتي حاملة نبرا وهو ما اتفق عليه كما عند ستانيسلاس قويار وكمال أبو ديب[69].

3– النسق المقطعي الذي يتكون من سلسلة متتابعة من المقاطع القصيرة مثل في الشعر (ص ع) في القرآن (ص ق) فإن المقطع الأول فيها يكون منبورا (كتب/ درس).

4– النسق المقطعي الذي يحتوي على مقطع واحد طويل (///0) فغالبا ما يكون النبر على هذا المقطع، فالنبر يقع دائما على المقطع الطويل الأخير.

5– النسق المقطعي الذي ينتهي بمقطع زائد الطول دائما ما يكون منبورا (كلام/ الأنهار).

ومع التسليم بأن المواضع النبرية تختلف من ناطق لآخر إلاّ أن هذه المواضع تمثل في معظم الأحيان وضوحا وثباتا نسبيا عند بعض الشعراء، وتزداد ثباتا مطردًا في النصوص القرآنية...

ومن التأمل الصوتي للنص القرآني، يلاحظ أن عديد الأصوات التي تكون قوية الإسماع هي في الغالب ما يكون المقطع الناتج عنها منبورا ومنها حروف الضغط على الشدة نتيجة التقاء المقطعين المشكلين من عائلة الحرف الواحد أو حروف المد والتنوين، فلئن كانت حروف الضغط على الشدة في حالة الالتقاء قليلة الاستعمال، فحروف المد من أكثر الأصوات سهولة في النطق وتتميز بالسعة والامتداد والنغمة الانسيابية ويكون المقطع الناتج عنها منبورا، وهي ولا شك تؤدي في

---

[68]– علم الأصوات: كمال بشر. اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان. دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر. في البحث عن لؤلؤة المستحيل: سيد البحراوي. مناهج البحث في اللغة: تمام حسان. الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس. علم الأصوات: برتيل مالبرج. العروض العربي: ستانيسلاس قويار. دراسة السمع والكلام: سعد عبد العزيز مصلوح. في البنية الإيقاعية للشعر العربي: كمال أبو ديب. موسيقى الشعر العربي: شكري محمد عياد. نظرة جديدة في موسيقى الشعر: علي يونس. الإيقاع في شعر السياب: سيد البحراوي ، من الصوت إلى النص: مراد عبد الرحمن مبروك.

[69]– نظرية جديدة في العروض العربي: ستانيسلاس قويار، ترجمة المنجي الكعبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996، ص 254. و في البنية الإيقاعية للشعر العربي الحديث (نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الإيقاع المقارن): كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، ط2، 1981، ص 341.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

توليد آلية الإيقاع الذي يساهم في بناء اللغة وإنتاج الدلالة (بناء المعنى) وبالتالي فهي "مكون صوتي موسيقي يكاد يشبه القافية في الشعر والتي تلعب دور المنبه الصوتي"[70]. وتدعى في النسق الصوتي في الخطاب القرآني بالفاصلة. حيث تُعدُّ أساسًا لقوة الإسماع كما "أنها تساوي من حيث الكمية الإيقاعية حركة متلوة بسكون"[71]. فهي تمثل دائما المقاطع المنبورة على اعتبار أن النبر قرين الطول لاسيما "أن طول المقطع المنبور يظهر في الشعر على النثر بصورة أوضح إذا اشتمل على حرف مد"[72]. وطالما أن التشكيل اللغوي في الخطاب القرآني أسمى من التشكيل اللغوي في الشعر من حيث النسق الصوتي والنظام الإيقاعي، فإن طول المقطع المنبور يظهر بصورة أوضح وأدل وأسمى في القرآن الكريم لحكمة أزلية أرادها الله تعالى وهي الإعجاز اللغوي والعلمي والتشريعي و...

وتزداد قوة إسماع هذه الحروف عندما تكون متلوة بوقفة أو سكتة أو تقع قبل همزة أو تكون متبوعة بحرفين مدغمين حيث يطيل المتكلم حرف المدِّ عمدًا ويعطيه مدّة أو وقتًا أطولَ"[73].

فحروف المد تتميز ببروز صوتي واضح، لأن الهواء عند النطق بها يمتد من خلال مجراه ويستمر في الامتداد لا يقطع استمراره أي عارض و لا ينتهي هذا الهواء إلا بانتهاء نطق الصوت نفسه، ومن ثم فإنها تكتسب ملامحها الصوتية من خلال السياق الصوتي الذي أوجدت فيه" لأن الصوت في سياقه يختلف في الأغلب عن الصوت المجرد من حيث كمية الجهد اللازمة لإنتاجه ومن حيث تأثره بالأصوات السابقة عليه واللاحقة له"[74]. فحروف المد تتمتع بالحيوية التي توفر لها قدرا من الانسجام بين الأصوات المتجاورة، وذلك يحقق لها سهولة في النطق وخفة في الأداء يجعلها منبورة، وبالتالي فإن كل حرف من حروف المد تظهر له نغمة واضحة في النطق.

ومن هنا تتبلور لنا كل الإمكانات النبرية التي تتيحها تلك الدراسة من خلال المعادلات الآتية:

حروف المد ⟵ سكتة ⟵ قوة إسماع = مقطع منبور.

ويمثل التنوين رنينا صوتيا طويلا، يكون مصحوبا بسكتة، حيث يقوم بدور رئيس في التأثير على طول المقطع، فيمنح المقاطع أداء نطقيا يميزها عن غيرها، كما يساعد على تحديد أبنية الجملة القرآنية ويحمل نوعا من التأكيد الدلالي، "فهو على مستوى الإيقاع يمثل رنة، تحدث قوة إسماع حاملة ترددا زمنيا طويلا"[75].

---

[70]– حركة الإيقاع في الشعر الجزائري المعاصر: عبد الرحمن تبرمسين، ص 183.

[71]– اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، ص 70.

[72]– نفسه، ص 70.

[73]– موسيقى الشعر: إبراهيم أنيس، ص 168.

[74]– من العوامل الصوتية في تشكيل البنية العربية: محمد جواد النوري، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات، 1992، ص 71.

[75]– من وظائف الصوت اللغوي: أحمد كشك، ص13.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

فالمقاطع الناتجة من التنوين دائما منبورة نظرا لأن وجوده " إيحاء بالسكتة وعدمه إيحاء بالاتصال"[76].

التنوين ← سكتة ← قوة إسماع = مقطع منبور

مما سبق يمكن استنتاج الآتي:

1– الوتد المجموع في التركيب الشعري أو في التركيب القرآني لا يأتي منبورا دائما بحيث يمكن اعتبار ذلك قاعدة أساسية، فكثيرا ما يختفي النبر عن الأوتاد، فالنبر يتحدد وفقا للسياق و لا يشكل ذلك خروجا عن النظام الإيقاعي، وإنما يكون منبورا إذا كان متبوعا بسكتة وهو الأمر الغالب عليه وفي عدم وضوحها لا يأتي منبورا، فالذي لا شك فيه أن سكتة الوتد أوضح إيقاعيا من سكتة السبب"[77].

2– المقطع الطويل هو أكثر المقاطع تميزا بالنبر فدائما ما يكون قوي الإسماع متبوعا بسكتة لاسيما المقطع المغلق، والمقطع الطويل الناتج عن حروف المد والتنوين.

3– المقطع القصير أقل المقاطع نبرا، وذلك لأنه قرين السياق الاتصالي.

4– دائما ما تكون المقاطع المتبوعة بسكتة منبورة .

ومن هذا المنطلق نرى بأن "النبر ليس فكرة مثالية عارية من كل وجود مظهري، ولكنه نوع من الوجود الحنجري"[78] [(*)].

الذي يشكله الانفعال " فهو مفهوم مجرد يتحقق على مستويات متعددة، كما أنه شيء تتحكم فيه مقصدية الشاعر والمحلل"[79].

إن النماذج النبرية ذاتية وليست قوالب جاهزة، تتحقق بحسب مقصدية الشاعر أو المقرئ، وحسبما تقتضي أبعاد النص الدلالية، كما أن التغيرات النبرية ليست مشروطة بأية شروط، فهي قرنية لفظية معنوية تستحوذ على الاهتمام البالغ

---

[76]– الزحاف والعلة (رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع): أحمد كشك، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 337.

[77]– فقد نظر إلى الوتد على أنه دائما ما يكون منبورا، وقد تشكلت هذه الرؤية من خلال النظر إلى موقع الوتد فقط والذي يعتبر مركز التفعيلة الرئيس وليس إلى المواضع النبرية، فاختفاء الوتد في (فاعلاتن) و تحولها إلى (فالاتن) أو (فاعلن) إلى (**فِعَلُن**) لا يمثل إخلالا جوهريا بالبناء العروضي، كما لا يمثل أيضا تغييرا في المواضع النبرية ، يشير إلى تمييز الوتد نبريا عن غيره فـ (فاعلاتن) بالوتد قد تأتي منبورة بمقطعين أو ثلاثة مقاطع و (فالاتن) قد تكون كذلك، فالاعتبار عند الإنشاد يكون اعتمادا على الأزمنة القوية والضعيفة.

[78]– لمزيد من التوضيح ينظر علم اللغة العام: فرديناند دي سوسير، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بيت الموصل، ط2، 1988، ص 60.

[(*)]– كما أن اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازا منتظما ينتج عنه الجهر أو التصويت أو النغمة الحنجرية.

– ينظر دراسة السمع والكلام: سعد عبد العزيز مصلوح، ص 149.

[79]– لسانيات النص: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط2، 1990، ص 64.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

لمسامعنا، لأنها تشكيل إيقاعي يعمل على تأصيل الدلالة، فسماع الأصوات لذاتها داخل النص قد لا يثير كل اهتمامنا إلا إذا كانت هذه الأصوات تمثل دلالة حقيقية تماما مثل سماع الموسيقى وما تثيره من مشاعر دفينة برغم ما قد يبدو من أصواتها أنها خالية من الدلالة، ولكنها في الحقيقة ذات معنى، كما أن المقاطع المنبورة ليست منظورة أو ملموسة بشكل كلي وإنما تكون محسوسة ومسموعة.

إن النبر ظاهرة صوتية كيفية وليست قرائية كمية، فهو مثير حسي يحرك ذهن المتلقي و يثير انفعاله، كما أنه ينقل انطباع المؤول من النص إليه، وليس مجرد إشارات صوتية خالية من الدلالة، حيث يقيم علاقة جادة بين الملتقى والنص، فهو بمثابة التأويل، إنه يمثل نظاما صوتيا يتجسد سمعيا لتحقيق وعيا ومعرفة بأبعاد البناء الدلالي للنص القرآني، أو هو:" اقتصادا لغويا يستغني فيه المبدع عن تكرار عديد الألفاظ بضغط صوتي على مقطع معين لإبراز دلالات متعددة"[80].

كما أن النبر في النص القرآني المقروء أو المرتل أو بعبارة صوتية (المنطوق) ينتظم بشكل فاعل يجمع بين القواعد النبرية أو الخروج على هذه القواعد طبقا للأداء النطقي ومحتواه الدلالي.

بينما في النص القرآني المكتوب يكون محكوما بقواعد محددة، ومن ثمّ فإن هذه المواضع لا تمثل البناء الدلالي تمثيلا كليا، فقد يأتي مقطع منبورا مع أن احتمالية نبره لا وجود لها حسبما تقتضيه القواعد المحددة للنبر، (كالمقطع الطويل الذي يمثل جزءا من الوتد)، فالوجود النبري في النص المقروء أو المنطوق حسّي أشبه بالدقات الموسيقية التي يتفاوت المتلقون لها في تقديرها وتذوقها، ويمكننا النظر إلى النبر في النص المنطوق (المقروء: مرتَلاً أو مجوَّدًا) على اتجاهين:

أحدهما متوقع وهي المواضع التي اتفق على حملها للنبر، وآخر غير متوقع وهي المواضع التي يحمّلها القارئ أو المرتل نبرًا وتكون بهدف إفهام المعنى، كما أنها تكون محمَّلة بعديد التفاصيل التي تقوم باستنباط الدلالات، وتكون على درجة كبيرة من الإقناع للمتلقي، فالعلاقة بين النماذج النبرية والسياق في النص المنطوق أكثر تشابكا وتماسكا، فلا وجود لأحدهما دون الآخر، فالنبر يستمد وُجُوده من السياق، ويعتمد في تحديد حدوده ومواضعه على الإنشاد.

3- النبر من منظور حداثي:

" إن فهمنا للنبر يقودنا حتما لمعرفة ما في اللغة العربية من ظواهر صوتية، لأن الميزان صورة لغوية تحاول بفاعليتها أن تطابق اللغة المنطوقة، ولأن الإيقاع قدرة على تنظيم هذه اللغة فنحن بحاجة إلى معرفة النبر اللغوي وما يقرب منه من ظواهر صوتية كالتنغيم (*L'intonation*) في تراثنا العربي... "[81].

---

[80]– الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد:فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط1، 2001، ص69- 70.

[81]– الزحافات والعلل – رؤية في التجريد والأصوات والإيقاع – : أحمد كشك، ص 233.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

وهكذا مهما تعددت تعريفات المحدثين للنبر اللغوي فإن السمة الجوهرية التي تحويها تلك التعريفات هي الوضوح. فالنبر " إشباع مقطع من المقاطع بأن تقوي إما ارتفاعه الموسيقي أو شدة مداه أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة "[82].

وهو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد والمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة. وهذا الضغط هو الذي نسميه النبر[83]. وتأسيسا على الذي سبق ذكره أن النبر ظاهرة صوتية تصحب مقطعا أو أكثر من مقاطع الكلمة حيث يتمثل النطق بصورة أقوى وأوضح نسبيا. وقد تولد من هذه الظواهر اللغوية رغم حداثتها أنها ظاهرة صوتية في غاية الأهمية تراعي في اللغة العربية قدرتها على التأثير وترجمة المعاني والدلالات إلى المتلقي مرسخة فيه قيم المتعة والفائدة في آن. " وليست الظواهر التجويدية للقرآن الكريم إلا تمثلا صوتيا للقراءات تراعي فيه قيم النغمات من مد إلى قلقلة إلى غنة إلى أخر الظواهر التجويدية "[84].

ولا شك أن إيقاع النبر (*Le Rythme Accentuel*) كما تنظر له علماء اللغة والأصوات وكما ذهب إليه البحث، هو البحث في دلالات مواضع الضغط على أحد المقاطع الصوتية بالنسبة إلى المقاطع المجاورة التي تقع في السياق التركيبي الواحد، مع تتبع مختلف الأنماط النبرية، كنبرالإلحاح (*Accent D'insistance*) ذي الوضعية الانفعالية التعبيرية، والنبر الثابت (*Accent Fixe*) الذي يتغير موقعه بتغير الوظيفة الدلالية، والنبر الحر (*Accent Libre*) ذي الوظيفة التمييزية. ولسنا ندعي لأنفسنا الإلمام بهذه الظواهر الصوتية والإحاطة بخباياها جملة وتفصيلا، لأن ذلك يحرمنا من الضوابط المنهجية الرامية إلى الإيجاز والاكتفاء بالإشارة، ويكفي أن نمثل على هذه الأنماط النبرية وهذه الظواهر الإيقاعية مجتمعة ضمن مصنف علمي أكاديمي هام لتمام حسان ألا هو:" البيان في روائع القرآن". وفي زحمة الأبحاث العلمية التي دارت في مساحة هذا المبحث اللغوي واستقطبت كثيرا من محاوره وتمفصلاته يمكن اختزالها ضمن هذه المحاضرة العلمية لعلاقتها الوطيدة ببنية الإيقاع في اللغة العربية. ومقاربتها وفق الخطة العلمية التي رسمناها والمنهج العلمي الذي توخيناه والهدف الذي قررناه...

---

[82]– دروس في علم أصوات العربية : جان كانتينو، نقله إلى العربية صالح القرمادي ، الجامعة التونسية. نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 1966، ص159.

[83]– الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص 234.

[84]– الزحافات والعلل: أحمد كشك، ص .235

[2]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، عالم الكتب الطبعة الثانية، 2000، ص 179- 180.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

"إن الحديث عن الإيقاع من منطلق النبر يجعل أحدنا إذا سمع شخصا غيره، يتكلم فسوف يلاحظ أن الكلام لا يجري على طبقة صوتية واحدة بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف باسم -التنغيم- (*L'intonation*) وبه يرتبط معنى الجملة إثباتا أو تأكيدا أو استفهاما أو إنكارا أو غير ذلك. أما المتكلم نفسه فسوف يرى أن الصوت، الذي يتم عنده الانتقال من طبقة صوتية إلى طبقة صوتية أخرى يتطلب قدرا من ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين يزداد به مقدار النفس المطلوب لإحداث الصوت فعندما يسلط هذا القدر الزائد على الأوتار الصوتية يعلو الصوت عما جاوره فيحظى في السمع بوضوح أكبر من وضوح ما يحيط به من الأصوات. هذا الوضوح النسبي يسمى نبرا..."[85].

واقتفاء لما سبق تجريده نحاول أن ننطق الصيغ الصرفية الآتية مكتنهين الاختلاف بينها من حيث موقع الوضوح السمعي:

فَعِلْ – فَاعِلْ – فَعيلْ.

- **جدول نبري لبيان وضوح الأصوات:**

الصيغة الأولى (فَعِلْ)	**أوضح الأصوات**	**فتحة الفاء**
الصيغة الثانية (فَاعِلْ)	**أوضح الأصوات**	**المد الناشئ عن الألف**
الصيغة الثالثة (فَعِيلْ)	**أوضح الأصوات**	**المد الناشئ عن الياء**

ومن هنا نلاحظ تباين البنية المقطعية (*Structure Syllabique*) لكل صيغة. فالنبر في الصيغتين الأوليين على المقطع الأول وفي الثالثة اقتضى أن يكون حكرا على المقطع الثاني. فإذا ثنينا فقلنا: **فَعَلان** و**فاعِلان** و**فَعيلان** انتقل النبر في جميع الصيغ إلى المقطع الأخير أي (إلى ألف التثنية) مما يدل على أن مواقع النبر في الكلمات تخضع للتبديل

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

بحسب التجرد والزيادة واختلاف البنية المقطعية للكلمة، وهذا ما يدل بوضوح أن النبر في السياق (*Le contexte*) يختلف عن النبر في الإفراد (*Le mot Vocabulaire*) مما تحكمه مطالب أخرى هي مطالب " الإيقاع " (*Le Rythme*)في السياق المتصل.

" وللنبر في اللغة العربية قواعد مطردة، بل اطرادها ربما كان اثبت من اطراد قواعد النحو، ثم إن قواعد النبر قليلة لأنها تدور حول احتمالات توالي العدد القليل من المقاطع في الكلمة المفردة أوفي السياق، وهي لقلتها يسهل تذكرها والتطبيق عليها وتناولها بالدرس ثم استنباط ما يأتي عن هذا الدرس من نتائج "[86].

4– قواعد النبر ومجالات استخدامه:

أولاً: قواعد نبرية في لغة الضاد (في اللغة العربية)

1– يقع النبر *L'accent* على المقطع الأخير من الكلمة المفردة (أو الصيغة التي عليها الكلمة) إذا كان هذا المقطع الأخير طويلا؛ سواء كان من النوع الرابع (ص م ص) أو الخامس (ص ح ص ص) أو السادس (ص م ص ص) من الأنواع الستة الآتية :

* **المقطع الأول:** صوت متحرك وليس بعد حركته صوت ساكن مثل المقاطع الثلاثة في لفظ (**ضَرَبَ**) مبنيا على الفتح، فكل مقطع منها صوت متحرك ليس بعده سكون هكذا:

ضَ – رَ – بَ، ويرمز لهذا المقطع بالرمز(ص ح).

* **المقطع الثاني:** صوت متحرك بعد حركته صوت ساكن، ومثال ذلك المقاطع التي تتكون منها عبارة (**لَمْ يَكْتُبْ**). فاللام في (**لَمْ**) متحركة بعدها ميم ساكنة ومثلها الياء في (**يَكْ**) وكذلك التاء في (**تُبْ**) فهما متحركتان بعد كل منهما صوت ساكن أيضا، ويرمز لهذا المقطع بالرمز (ص ح ص) .

* **المقطع الثالث:** صوت صحيح يتلوه مدّ وليس بعد المد سكون، مثل:(**وافَانَي**) فكل من الواو و الفاء والنون جاء بعده مد وليس بعد المد سكون، والرمز الدال على هذا المقطع هو (ص م).

* **المقطع الرابع:** صوت يتلوه المد وبعد المد سكون كما في (**ضَالِّينْ**) و(**طَامَّة**) و(**صَاخَّة**) وهي كلمات مفردة في سياق بنية الخطاب القرآني. فالمقطعان في كل من هذه الكلمات كما يلي:

[86]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 180.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

– ضَالْ ⟵ لَيِنْ.

– طَامْ ⟵ مَهْ.

– صَاخَ ⟵ خَهْ.

أي أن المقطع الأول من كل هذه الكلمات المفردة من هذا النوع (**ضَالْ – طَامْ – صَاخَ**) يومئ له بالرمز(ص م ص).

* **المقطع الخامس:** صوت متحرك وبعد الحركة صوتان ساكنان كما في الوقف *(La Pause)* على (**قَبْلْ**) و(**بَعْدْ**) وكما في المقطع الثاني من مقاطع (**تُوَيْبَة**) – (**تُ – وَيْبْ – بَهْ**) تصغير(**تَوْبَة**) و(**صويخة**)- (**صُ – وَيْخ – خَهْ**) تصغير (**صاخّة**) يحيل عليه بالرمز الآتي: (ص ح ص ص).

* **المقطع السادس:** صوت يتلوه مد وبعد المد صوتان ساكنان ولا يرد هذا المقطع إلاّ عند الوقف على ألفاظ مثل : (**حاجُ**) و(**تامُ**) و (**خاصُ**) و(**ضالُ**) فهو مقطع مرهون بموقع معين ويرمز إليه بالرمز (ص م ص ص) وربما حسن أن يسمى مقطع الوقف. *(Syllabe de La Pause)* .

وخلاصة القول: إن المقطع الأول يسمى إيجازا بالمقطع القصير والثاني متوسط مقفل والثالث متوسط مفتوح والرابع طويل المد والخامس طويل التسكين أما السادس فيسمى مقطع الوقف[87].

ويتجلى بيان ذلك ما ندركه من موقع النبر في مثل:

مَفْعُولْ – يَفْعَلانْ – فَعَلَتْ – البَارْ.

بإسكان الآخِر في كل كلمة.

2– ويقع النبر في الكلمات ذات المقطع الواحد أيًّا كانت كميته نحو:

قْ – قمْ – مَا – قالْ – قلْ – حاجْ .

3– يقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير في الحالات الآتية :

أ– إذا كان ما قبل الأخير قصيرا والأخير متوسط أو قصيرا في كلمة ذات مقطعين أو مبدوءة بهمزة وصل قبلهما كما في : **كُتُبْ – صُوَرْ – انطلقْ – اخرجِي – ارعَوِ.**

---

[87]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان ، ص 177- 178 (بتصرف).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

ب– إذا كان ما قبل الآخر متوسطا وكان الآخر متوسطا أو قصيرا كما في : **عَلِمْ – قاتِلْ – معلّم – مُقَاتِلْ – استوثِقْ – استَلقِ – حَذَ اِر** .

ج– إذا كان ما قبل الآخر طويلا واستخدم فيه التقاء الساكنين والآخر غير طويل كما في:

ضالّةْ – طامّة – تُوَيْبَة[88].

4– يقع النبر على المقطع الذي يسبق ما قبل الآخر إذا كان هذا المقطع قصِيرا أو متوسطا بعده قصير ومتوسط نحو: **عَلَّمكَ – عَلَّمَكمْ – بَيْنَكُمْ – بَيْتُكَ – نَظْرَةٌ – ابتسَامَة.**

5– يقع النبر على المقطع الثالث مما قبل الآخر إذا كان الآخر قصيرا أو متوسطا قبله ثلاثة قصار نحو: **ضَرَبَكَ – شَجَرَةٌ – بَقَرَةٌ – يَرِثْنِي – تَعِدُهُمْ – وَجَدَكَ – نَكِرَهُمْ.**

6– لا يقع النبر على مقطع قبل ذلك المذكور أخيرا. وتأسيسا على الذي سبق تحذيره، أن هذا هو نبر الكلمة المفردة (والإفراد هنا بالمعنى الإملائي وإن كانت مركبة بالمعنى النحوي بواسطة وصل الضمائر والحروف الزائدة). ولكن الاستعمال اللغوي لا يتم من خلال إفراد الكلمات لأن الكلمة المفردة ذات معنى مفرد والمعنى المفرد لا يتصف بالإفادة. فإذا كانت الإفادة هي مطلب الاتصال اللغوي فأولى بهذا الاتصال أن يتم من خلال سياق لغوي مركب ذي علاقات نحوية ومعان دلالية وقرائن من كل نوع يتوصل بها الإفهام والمعنى[89] .

وحين تتجاوز الكلمات في السياق اللغوي ينشأ من تجاورها ظروف جديدة تفرض على النبر أن يقع في مواقع من الكلمات لم تكن له في حالة الإفراد. وهذه الظروف الجديدة هي مقتضيات الإيقاع الذي ينسب إلى السياق ولا ينسب إلى المفردات.

غير أن الكلمة المفردة إذا تعددت مقاطعها حتى صارت من حيث مطلق حركاتها وسكناتها بوزن كلمتين قصيرتين لم تترسخ بنيتها بالنبر الذي أشرنا إلى مختلف أنماط قواعده سابقا، وإنما تضع على موقع مما يسبق هذا النبر نبرا آخر أقل قوة من ذلك يسمى النبر الثانوي. أنظر مثلا إلى الكلمات الآتية تجد كلا منها بوزن كلمتين قصيرتين:

- **صافّات =** (**قالْ**) ساكنة اللام مرتين .
- **مستقيم = جاء أمس.**
- **يستبقون = لَيسَ يهون.**

---

[88]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 180– 181 (بتصرف).

[89]– نفسه، ص181 (بتصرف).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

هنا يأتي النبر الثانوي قبل النبر الأولي ليوجد توازنا بين أجزاء الكلمة. وهذا النبر أيضا يخضع لعدد من القواعد أقل مما سبق تلخيصها على النحو الآتي[90]:

1– يقع النبر الثانوي على المقطع السابق للنبر الأولي مباشرة إذا كان هذا السابق *(Antérieur)* طويلا نحو : **الصاقات – الضَّالّين – أَتُحَاجُّونِّي**.

2– ويقع على المقطع الثاني مما سبق النبر الأولي إذا كان هذا الثاني متوسطا والذي بينه وبين النبر الأولي قصيرا أو متوسطا نحو: **مستبقين – مستقيم – مستعد – يستخفون – عاشرناهم – قاتلوهم** .

3– ويقع النبر الثانوي على المقطع الثالث مما قبل النبر الأولي فيما يلي:

أ– إذا كان هذا الثالث قصيرا بينه وبين النبر الأولي قصيران نحو: **بقرتان – كتبتاه – كلمتان**.

ب– أو كان متوسطا بينه وبين النبر الأولي قصيران نحو: **يستبقون – محترمان – منطلقات**. أو قصيرا فمتوسطا نحو: **يستقيمون – مستطيلان – مستطيعات**[91].

ذلك أن النبر الثانوي يوضح من مقاطع الكلمة ما لولاه لخفي عن السمع، ويوجد من التوازن بين جزئي الكلمة ما يجعلها أكثر قبولا في الذوق وإراحة للأذن وإن كان هذا القبول وتلك الإراحة ما يزالان على مستوى الكلمة المفردة لا على مستوى السياق. وهنا ينبغي طرح السؤال الآتي: ماذا عن النبرفي السياق ؟.

إذا تأملنا النص المتصل أو المترابط *(Le texte Cohérent)* أو السياق *(Le Contexte)* لاحظنا أنه يشتمل على كلمات تختلف طولا وقصرا بين أن تكون على حرف واحد (كباء الجر ولامه)، وبين أن تكون على عدد أكبر، حتى إن الكلمة قد تكون فعلا من ستة (**06**) أحرف أسند إلى ضمير متصل ذي حرفين نحو (**يستخرجون**) و(**يستغفرون**). فإذا عطف هذا الفعل بالفاء زاد على حروفه حرفا نحو: (**فيستغفرون**). بل قد يزيد عدد الحروف على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ** ﴾ (**سورة البقرة، الآية: 137**).

إذ تحف باللفظ أو الكلمة المفردة عناصر الزيادة في أوله عطفا وتنفيسا والضمائر المتصلة في آخره[92].

---

[90]– نفسه، ص 182.

[91]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 182– 183 (بتصرف).

[92]– نفسه، ص 183 (بتصرف).

[93]– الزحافات والعلل: أحمد كشك ، ص 233 (بتصرف).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

ثانيا: قواعد النبر في الخطاب القرآني.

مما لا شك فيه أن البحث حين يحاول بيان دور النبر في إيقاع الخطاب القرآني وتفسير ظواهره فإن مهمة شاقة تقف أمامه في الوصول إلى كنه ذلك النبر وطبيعته " فالنبر في اللغة العربية موضوع شاق لا يزال بحاجة إلى كثير من البحوث ومهما بذل فيه من جهد فإن طلبا للمزيد يعتبر أمرا لازما، ونحن نقدر كل الجهود التي بذلت حول رؤية النبر ودوره المؤسس في إيقاع الخطاب القرآني"[93].

وربما ترجع صعوبة النبر في تراث اللغة العربية باعتباره مفسرا لظواهر الإيقاع ومكوناته النحوية الصوتية (التركيبية) والمعنوية (الدلالية) إلى أنه حديث الوجود في لغة باتت وليدة الثقافة الشفاهية في مراحلها الأولى ولم يستطع التدوين أن يحصر ما بها من قيم صوتية تعتمد في أساسها على ثالوث المقطع والنبر والتنغيم في نمو الوعي العربي الإسلامي والإنساني برمته لتدارك القيم الجمالية المبثوثة في ثنايا الخطاب الإلهي الأزلي إلى كافة الناس...[94].

ومن هذا المنحنى الرسالي الراسخ في البحث (تركيبيا ودلاليا) ندرك أن الكلمة المفردة في قوله تعالى : ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ** ﴾ (**سورة البقرة، الآية: 137**). بحيث أن عناصر الزيادة التي تحف بالكلمة أو باللفظ بلغت مداها في أوله عطفا وتنفيسا والضمائر المتصلة في آخره: " خطابا وغيبة: فإذا علمنا أن هذه العناصر التركيبية الجامدة كالحروف والضمائر قد تقل حروفها حتى لا تصلح للإفراد، أدركنا أنها قلما يصدق عليها ما تقدم إيضاحه من نبر الكلمة المفردة ولكنها مع ذلك جزء من السياق لا يمكن تجاهله في الاستعمال أي عند الأداء الفعلي للكلام. وهكذا نجد تدخل هذه العناصر في مجرى السياق يفرض على السياق توزيعا جديدا للنبر يقسم أصوات الكلمة إلى دفعات، كل دفعة منها بوزان كلمة عربية حتى إن امتدت هذه الدفعة على نهاية كلمة وبداية ما بعدها مزجت نهاية السابقة (*Antérieure*) وبداية اللاحقة (*Postérieure*) في خفقة واحدة من خفقات النَّفَس عند المتكلم (*Le locuteur*) . إن توالي هذه الدفعات (أو الخفقات) غير المرتبطة بحدود الكلمات المفردة بداية ونهاية هو ما نعرفه باسم الإيقاع في الكلام[95]. (*Le Rythme dans la Parole*).

ومن أدل وأبرز أنماط النبر في الخطاب القرآني، مثل ذلك يتجلى في قوله تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...**﴾ (**سورة آل عمران،الآية: 133**). "وهذا أن الفعل (**سَارِعُوا**) في حال الإفراد يشمل على نبر أولي على ألف المد من مقطعه الأول ولكنه إذا عطف بالواو فصار (**وَسَارِعُوا**) تغيرت خطة النبر فيه فاشتمل على نبر ثانوي على حركة الواو ونبر أولي على حركة الراء، فصار كأنه كلمتان إحداهما (**وَسَا**) والثانية (**رِعُوا**) وكلتاهما تشبه الفعل (**رَمَى**)

---

[94]– الزحافات والعلل: أحمد كشك ، ص 233– 234 (بتصرف).

[95]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 183 (بتصرف).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

في قوله تعالى:﴿... **ولكِنَّ اللهَ رَمَى** ﴾ (**سورة الأنفال،الآية: 17**) من حيث مطلق الحركات والسكنات فيستحق من النبر ما يستحق الفعل (**رَمَى**). ويصدق ذلك أو ربما يسحب ذلك على قوله تعالى: ﴿ **وصَابِرُوا وَرَابِطُوُ** ﴾ (**سورة آل عمران، الآية: 200**). وإذا تأملنا كلاما متصلا لاحظنا تشابه المسافات بين نبر ونبر أو تقارب الشبه بينهما، فقد يكون بين النبرين مقطع واحد أو مقطعان أو ثلاثة على أكثر تقدير، دون أن يقع النبر على أحد هذه الثلاثة. ثم إن النبرين المتواليين قد يكونان من قبيل النبر الأولي وقد يكون إحداهما ثانويا "[96]. وهذا التشابه أو قرب الشبه بين كميات المسافات يمنح الأذن إحساسا بالإيقاع يزيد في نشوة تلقي النص القرآني عبر مسافات الأمواج الصوتية المتلونة الواحدة أو الموسومة أسلوبيا بـ: حقيقية واحدة وأبعاد متعددة (*Unidimensionnel*). وما يعضد ويعزز مذهبنا هذا، هو أن اللغات تختلف في تحديد مواقع النبر– كما سبق وأن أسسنا لذلك في بداية محاضرتنا هذه " حتى إن لكل لغة إيقاعا خاصا تمتاز به بين لغات البشر. فالقواعد التي أوردناها ونسبناها إلى النبر في اللغة العربية لا تصدق على لغة أخرى غيرها، بل حتى على اللهجات العامية المعاصرة في العالم العربي. فهذه اللهجات تختلف عن العربية الفصحى في تحديد مواقع النبر كما تختلف كل واحدة منها عن الأخرى في هذا المجال"[97].

وفي طوق منشئ النص أن يمنحه من رشاقة الإيقاع ما لا يستطيعه المتكلم العادي، حتى إذا ما قرأنا هذا النص المنثور أحسسنا له خفة على اللسان وراحة في الأذن وقبولا في النفس يقترب بنا مما نجده من ذلك لوزن الشعر *La metrie de la Poésie*)، وبهذا يمتاز نص عن نص وبنية الإيقاع في لغة القرآن وخطابه المعجز تسير في المنوال نفسه.

وإن بعض الأساليب النثرية المنظومة لتستحق عن جدارة أن تنسب إلى الإيقاع بكل مكوناته وأسئلته ومقولاته، فيوصف هذا النص المنثور ذو الوضعية النبرية المتناغمة بأنه ذو أسلوب موسيقى موقع أو رشيق دون أن يلجأ منشؤه إلى المحسنات اللفظية المجذورة في تاريخ البلاغة أو علم الأسلوب الحديث– من أي نوع – وفي هذا إشارة بالنظر مثلا إلى أسلوب الجاحظ أو أسلوب أبي حيان التوحيدي أو أسلوب طه حسين أو أسلوب الزيّات أو أسلوب محمد الطاهر بن عاشور أو أسلوب البشير الإبراهيمي، ثم نتأمل هذه الخاصية الإيقاعية وسنتلمسها حقيقة واقعة نحس بها ولا نستطيع وصفها لأنها " تحيط بها المعرفة ولا تدركها الصفة " وفق المنظور الإيقاعي عند إبراهيم الموصلي.

"وحين أحس الشهاب الخفاجي بنية الإيقاع في الخطاب القرآني لم يستطع الإشارة إليه على علاتة، وإنما انتقى من العبارات القرآنية في أبجديات معجمه اللغوي المعجز ما أمكن أن يطوعه للوزن الشعري. أما الإيقاع الذي يستعصي على الوزن فلم يكن في طوق الخفاجي أن يكشف عنه أو أن يشير إليه"[98].

---

[96]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 183– 184 (بتصرف).

[97]– نفسه، ص 184 (بتصرف).

[98]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 184– 185 (بتصرف).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

لقد بنى الخفاجي منظومته الشعرية التي ضبط بها كميات البحور وتفعيلاتها على هذه الكلمات المفردة أو العبارات القرآنية داخل نسيج معجمه اللغوي، ليسهل على المتعلم تذكر المنظومة. وحسبنا أن نورد أمثلة من هذه المنظومة لتوضح موقف الخفاجي الذي أشرنا إليه:

1– قال في تحديد كمية بحر الطويل:

*** أطَالَ عُزُولي فيك كُفْرَانَهُ الهَوَى وآمَنْتَ يَا ذا الظبيُ فأنسْ ولا تنفرْ**

فعول مفاعيلن فعولن مفاعلن

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤمِنْ ومَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾.

2– وقال في البسيط: (التام)

*** إنِّي بَسَطْتُ يَدِي أدْعُو عَلىَ فئةٍ لاَ مُوا عليكَ عَسَى تَخْلُو أمَاكنَهم**

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن

﴿ فأصْبَحُوا لا يُرَى إلاَّ أمَاكنهم ﴾.

3– وقال في المديد: (المجزوء)

*** يَا مَدِيدَ الهِجْرِ هَلْ مِنْ كِتَابٍ فيه آياتُ الشِّفَا لِلسقيمِ**

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

﴿ تِلْكَ آياتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ ﴾.

4– وقال في المتقارب: (التام)

*** تَقَارِبْ وهَاتْ اسْقِنِي كَأسَ راحٍ وبَاعِدْ وُشَاتَكَ بُعْدَ السَّمَاءِ**

فعولن فعولن فعولن فعولن

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

﴿ وإنْ يَسْتَغِيْثُوا يُغَاثُوا بماءٍ ﴾[99].

وانطلاقا من هذه المسلمات الإيقاعية المتناغمة بين النص النثري المنظوم أو الشعري الموزون أو فلسفة النظم في أبجدية الإيقاع في الخطاب القرآني، نخلص إلى النتائج الآتية:

1– إن هناك فروقا بين النبر الأولي والنبر الثانوي يمكن تلخيصها في الطروحات الآتية:

أ– إن النبر الأولي مطلب صرفي مسرحه الكلمة المفردة، ولكن النبر الثانوي مطلب إيقاعي يتحقق في إحدى بيئتين: أولاهما الكلمة التي طالت بنيتها حتى احتاج النطق بها إلى إيجاد توازن صوتي (*phonétique Symétrie*) بين أجزائها، والثانية بيئة السياق (*Milieu du contexte*) الذي تدعو الحاجة فيه إلى الإيقاع بسبب ما يعرض له من إرباك نبر الكلمات بسبب اللواصق والحروف والأدوات التي تعرض في السياق.

ب– إن النبر الأولي يحسب بواسطة التراجع من نقطة انتهاء الكلمة، وإن الثانوي يحسب بالتراجع من نقطة وقوع النبر الأولي[100].

ج– إن المسافة بين النبر الثانوي والأولي الذي بعده إذا نظرت إلى مطلق الحركات والسكنات فيها وجدتها في وازن كلمة عربية. وهكذا إذا نظرنا إلى كلمة مثل: (**يَسْتَغِيْثُون**) وجدنا بها نبرا أوليا على المقطع الأخير (**نون**) ونبرا ثانويا على المقطع الأول (**يَسْ**) إي أن كمية ما قبل النبر الأولي هي بمقدار كلمة عربية، أي ما قبل النبر الأولي هو (**يَسْتَغِي**) وهو في الكمية يساوي (**يرتقي**) أو (**يستقي**) أو (**جاهدوا**) أو أية كلمة لها هذه الكمية في مفردات الخطاب القرآني. ولكن هذه الكمية لما كانت جزء كلمة ولم تكن كلمة تامة صالحة للأفراد. وقع النبر عليها ثانويا لا أوليا، على حين تستحق الكلمات الأخرى التي على وزنها: (**يرتقى** ... إلخ) نبرا أوليا على أول مقطع في كل منها بسبب استقلالها وصلاحيتها للإفراد[101].

د– إن النبر الثانوي أضعف جهد من النبر الأولي لأن ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين عند إيقاعه أضعف منه عند إيقاع النبر الأولي[102].

---

[99]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 185 (بتصرف).

[100]– نفسه، ص 186 (بتصرف).

[101]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 186 (بتصرف).

[102]– نفسه، ص 186 (بتصرف).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

2– لو اتحدت كميات الكلمات العربية فتشابهت في بنيتها لوقع النبر فيها على صورة واحدة ولكن النبر في اللغة العربية صرفيا كله، أو لجأ إيقاع اللغة متساوي المسافات رتيبا مملا كوقع خطوات المشي كما في هذه العبارة (**مَنْ تَأنَّى نَالَ مَا تَمَنَّى**) إذ يقع النبر فيها على كل مقطع بعد مقطع بانتظام، ولكن اختلاف الكلمات طولا وقصرا وتجردا وزيادة واتصالا وانفصالا حال دون هذه الرتابة وذلك الملل وجعل للغة إيقاعا لا مجرد وقع. ولكن الإيقاع المقصود هو إيقاع في نطاق التوازن (*L'équilibre*) لا في نطاقه الوزن (*La mètrie*) *La métrique*. فالوزن (*La métrique*) في العربية للشعر والتوازن (*L'équilibrage*) في الإيقاع للنثر (*La prose*). والذي في الخطاب القرآني متوازن (*La cohésion*) أو (*La cohérence*) لا موزون [103] . (*Métrique*).

3– إن الوزن والتوازن كلاهما من صور الإيقاع وهما أيضا من القيم الصوتية التي تصلح أن تكون مجالا للفن والجمال. أما الوزن فيكفي أن نتأمل ما يمنحه من البعد الجمالي والموسيقى ونحوهما للعملية الإبداعية الشعرية، وأما التوازن فيكفي أن ننصت إلى صوت قارئ مجيد يرتل القرآن الكريم (ولا نقصد ترتيل التطريب بل الترتيل بدون تطريب) وسنرى عندئذ أن ما في هذا الكتاب العزيز من فعاليات التلقي وإستراتجية الفلسفة القرآنية في الخطاب والتواصل والتأثير و... يحدث ذلك نتيجة جمال التوازن الذي قد يجاوز أحيانا جمال الوزن. وبنظرة فاحصة كذلك إلى كثير من أساليب الترتيل – وبخاصة ما بني منها على قصار الجمل وقصار السور – وسوف نرى أن لها من جاذبية خاصة تجتذب إليها انتباه المتلقي، وكيف تمنح أذنه من المتعة ونفسه من الارتياح مالا نجده في أرقى مستويات الخطاب الشعري والغناء[104]. وكلما تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حَسُنَ إيقاعها والعكس صحيح، بمعنى أن هذه الكميات بين نبر وآخر إذا تباينت ولم تتقارب أحس السامع أو المتلقي كأن المتكلم يتعثر في مشيته، بل إن المتكلم نفسه لابد أن يحس هذا الإحساس. أما هذا التقارب (*L'approximité*) وذاك الانتظام (*La cohésion*) فهو الذي نتلمسه ونجده في إيقاع الخطاب والأسلوب القرآني كما سيتضح بموجب هذه الشواهد، وقد تم اختيار هذه النماذج اعتباطا، فيسحب على غيرها من آيات القرآن الكريم ما يصدق عليها والله اعلم:

1– ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة، الآية: 19).

2– ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة البقرة، الآية: 22).

---

[103]– نفسه، ص 186 (بتصرف).

[104]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 187 (بتصرف).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

3- ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (سورة آل عمران ، الآية: 14).

4- ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (سورة النساء، الآية: 20).

5- ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة المائدة، الآية: 45).

6- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة الأنعام، الآية:59).

7- ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الأعراف، الآية:85).

8- ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة التوبة ، الآية: 94).

9- ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (سورة يوسف، الآية:25).

10- ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ﴾ (السورة الكهف، الآية: 16).

ومن خلال هذه النماذج الحية والشواهد الأزلية يجدر بنا الوقوف على تقطيع الآية الأولى إلى دفعات النبر فيها لنرى كيف يحدث الإيقاع من تقارب الأطوال بين المسافات بين كل نبر وآخر أو انتظام ائتلاف المقاطع قي مجموعات فارقة بين مواقع النبر: (**أوَ كَ- صَيِّبٍ- منَ السَّ- ماء- فيه ظُلُ- مَاتٌ وَ- رَعْدٌ وَ- بَرَقٌ- يجْعَ- لونَ أصَا- بِعَهُمْ- في آ- ذانِهِمْ- منَ الصَ- وَاعِقِ- حَذَرَ لْ-مَوْتِ وَلْ- لاَهُمُ- حيطٌ – بِلْكَا- فِرِينْ**).

نلاحظ بين النبر الأول والثاني مقطع واحد هو (**كَ**) وبين الثاني والثالث اثنان هما (**يَبْ**) وبين هذا والذي بعده اثنان هما (**نَ السَّ**) وبعد النبر- هذا – مقطع واحد هو (ءِ) وهكذا يستمر الفارق في هذه الحدود فيتشكل الإيقاع.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

وهكذا نحاول مثل هذا التقطيع في بقية الآيات التي سبق ذكرها مكتنهين – بعد ذلك – المقصود بالإيقاع أنه ليس الوزن المحكم وإنما هو التوازن الناشئ عن تقارب الشبه بين المسافات الفاصلة بين كل نبر ونبر ثم لنرى بعمق أن هذا التوازن هو مصدر رشاقة الأسلوب وجمال الخطاب وسبب قوي من أسباب

ارتياح النفس له واحتفائها به. قال الله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ (**سورة النساء، الآية: 82**).

لقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بسمة المرَتَّلِ حيث قال: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا** ﴾ (**سورة الفرقان، الآية: 32**). وسياق هذا النص القطعي دلالة قوية على أن الله جل في علاه أول من رتل القرآن ترتيلا. وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرتل القرآن ترتيلا. مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** ﴾ (**سورة المزّمّل، الآية: 4**). والمعروف في مصادر اللغة ومعاجمها أن الترتيل مصدر الفعل رَتَّلَ يُرَتِّلُ ومعناه وضع المجموعات في أرتال كل رتل منها طائفة مجتمعة وبين كل رتل وما يليه انقطاع مؤقت. غير أن الترتيل في ميزان الله تعالى كونه أنزل القرآن الكريم منجما حسب الوقائع وأسباب وملابسات النزول، فإذا أنزل آية أو آيات عُدَ رتلا قائما بذاته بعد فترة انقطاع الوحي، ثم يعود ويتواصل الوحي برتل آخر من الآيات وهكذا[105].

وهذا المعنى وإن كان لا يمس موضوعنا (النبر في اللغة العربية) مسا مباشرا، فإنه حجة له ودليل عليه. وحجاجا على الحكمة الجليلة المستنبطة في ثنايا النصوص المقدسة- لعظيم فائدة الإيقاع في الخطاب القرآني. والتبليغ لرسالة القرآن بوصفه دعوة عالمية وأزلية في آن- أما الترتيل بالنسبة إلى الرسول محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فهو طريقة من طرق الأداء والقراءة والتلقي. فتجويد القرآن الكريم يشتمل إلى جانب إعطاء الأصوات حقها على أمور أخرى: منها المد بأنواعه والغنة والسكت والقلقلة وما إلى ذلك مما يعد من قبيل الانقطاع المؤقت لتوالي الأصوات التي تتكون من الألفاظ ومفردات المعجم القرآني. فالمد كالسكون، والسكون كالسكوت وانقطاع الكلام، ويمكن سحب ذلك عن الغنة لأنها (مد) بالنون، ونظير ذلك عن السكت وهكذا. فإذا قرأ القارئ القرآن مع الترتيل أتى بكل رتل وآخر وبينهما فترة انقطاع هي إما مد أو غنة أو سكت... إلخ،

[105]– البيان في روائع القرآن: تمام حسان، ص 189 (بتصرف).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

هذا النوع من الترتيل يضيف إلى إيقاع الخطاب القرآني الكامن في نصه إيقاعا آخر طارئا عليه من خلال حسن الأداء وفقه القراءة. فإذا اجتمع الإيقاع الصوتي وذلك الإيقاع الترتيلي لم يكن للأذن إلا أن تستمع وتنصت وتستمتع بالجمال. وسبحان الله تعالى إذ يقول لعباده المؤمنين: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (**سورة الأعراف، الآية: 204**).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **{ زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الحَسَنَ يَزِيدُ القُرْآنَ حُسْنًا }**[106].

[106] – رواه البخاري.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr